

مخطوط

إِنْدَارُ وَاسْتِثَابَةٍ لِمَنْ ارْتَدَّ وَثَابَ



تحقيق

إبراهيم إسماعيل غانم
(أبو عبد الرحمن)

تقريظ

الشيخ أحمد ذياب عطايا
أ. وجدي العاروري

كتب المخطوط

الشيخ محمد خليل غانم
رحمه الله تعالى

إِنْذَارٌ وَاسْتِثَابَةٌ

لِمَنْ ارْتَدَّ عَنْ وَتَابَ



كتب المخطوط

الشيخ محمد خليل الشيخ غانم

تقريظ: الشيخ أحمد ذياب عطايا

أ. وجدي العاروري

تحقيق: إبراهيم إسماعيل غانم

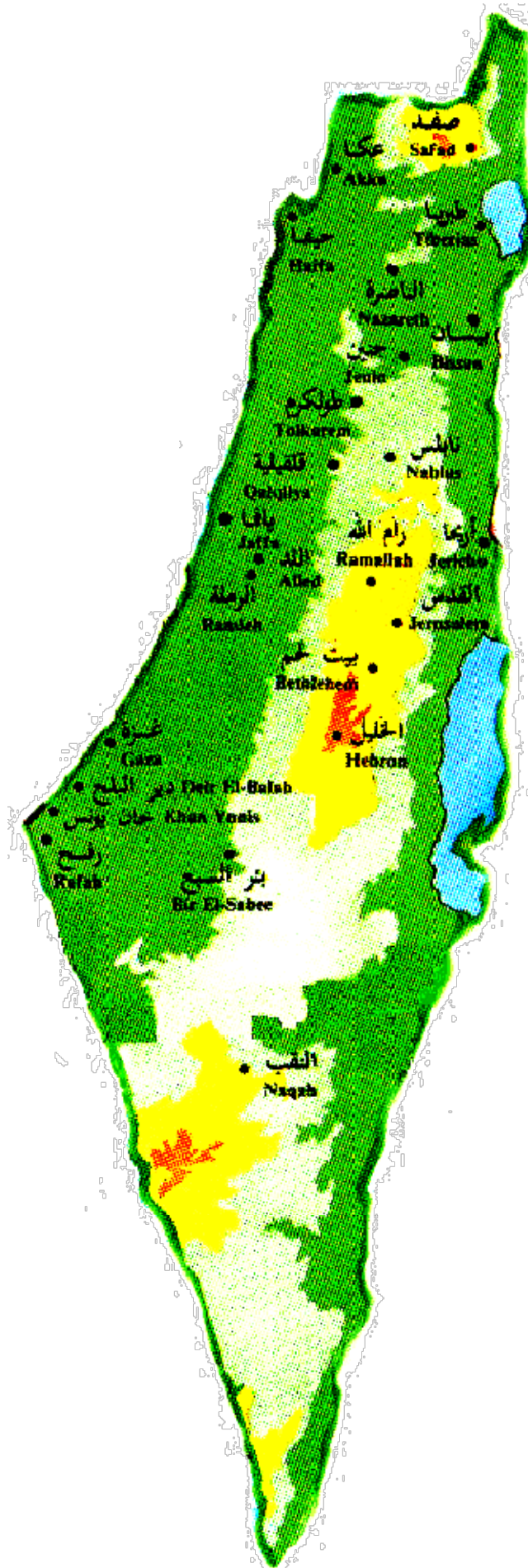
الطبعة الأولى

رجب 1443هـ - شباط 2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ
 أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
 وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ
 أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (7)

سورة الإسراء



فهرس الكتاب

8.....	قالوا عن القُدس والمسجد الأقصى
10	تقرىظ الشىخ أحمء ذىاب عطايا
11	تقرىظ أ. وءءى العارورى
12	المقءمة
15	تعرف بالشىخ مءمء رشىء رضا (رءمءه)
16	تعرف بمءءى الشىخ مءمء ءلىل غانم (رءمءه)
16	وصف المءطوط:
17	نص المءطوط المءقق:
38	صورة عن المءطوط (كاملة):
53	المصادر والمراجع:





قالوا عن القدس والمسجد الأقصى

❖ قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (سورة الإسراء: 1).

❖ قال النبي ﷺ: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة) (أبو يعلى "6417). وقال ﷺ: (ولنعم المصلى، هو أرض المحشر، والمنشر، وليأتين على الناس زمانٌ، ولقيدُ سوطِ الرجلٍ حيث يرى منه بيت المقدس؛ خيرٌ له، أو أحبُّ إليه من الدنيا جميعاً). (البيهقي: 6417).

❖ "نعم المسكن بيت المقدس، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله، وليأتين زمانٌ يقول أحدهم ليتني لبنة في بيت المقدس". (أمير المؤمنين عمر رحمته الله).

❖ "وسط الأرضين أرض بيت المقدس، وارفع الأرض كلها إلى السماء: بيت المقدس" (أمير المؤمنين علي رحمته الله).

❖ "بيت المقدس بنته الأنبياء، وسكنته الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي، أو قام فيه ملك". (عبد الله بن عمر رحمته الله).

❖ "إنني لن أسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين ما دامت الخلافة العثمانية قائمة..." "وأني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، فليحتفظ اليهود بملايينهم...". (السلطان عبد الحميد رحمته الله).

❖ "أوصي الجميع بضرورة الحفاظ على واجب نصره القدس والمسجد الأقصى المحتلين لأنهما أمانة في أعناقنا، وهذه الأمانة عظيمة في السموات والأرض، وسنسأل عنها أمام الله يوم القيامة، ولذلك علينا أن نخلص لها بكل ثمن؛ لأنها قضية كبيرة، وكل ثمن من أجلها هو ثمن رخيص...". (الشيخ رائد صلاح حفظه الله).

❁ "ما في موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبي مُرسل أو قام عليه ملك مقرب" (مقاتل بن سليمان).

❁ أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قدمت بيت المقدس، وصَلَّت فيه، وصَعَدَت على جبل طور زيتا فَصَلَّت، ودعت إلى الله، ثم قالت: "من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة أو إلى النار".

❁ "الأرض المباركة: هي حول المسجد الأقصى من بلاد الشام، الأقرب فالأقرب" (ابن تيمية رحمته الله).

❁ "أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشام في كفالة الله وحياطته، ومن حاطه الله تعالى وحفظه فلا ضيعة عليه" (العز بن عبد السلام رحمته الله).

❁ "أُحِبَّ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لِأَكُونَ قَرِيبًا مِنْ مَوْطِنِ الْأَنْبِيَاءِ". (الإمام الشافعي رحمته الله).

❁ "إن الصخرة في المسجد الأقصى كالْحِجَرِ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ" (الإمام الزركلي رحمته الله).

❁ "كيف أبتسم أيها القوم، والمسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس، راسف في قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الأعداء" (نور الدين زنكي رحمته الله).

❁ "بيت المقدس؛ مكان يتطهر فيه من الذنوب ومن أمّه لا يريد إلا الصلاة فيه، رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومنه سميت الجنة حظيرة القدس؛ لطهارتها من آفات الدنيا، ومنه سمي جبريل روح القدس لأنه طاهر من كل عيب" (ابن قيم الجوزية رحمته الله).



تقرير الشيخ أحمد ذياب عطايا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:
فإني قرأت هذه الرسالة التي كتبها الشيخ محمد رشيد رضا، وخطها بيده
نقلاً عن الشيخ محمد خليل غانم، وحققتها حفيده إبراهيم غانم، حفظه الله. وإني وإن
كنت لا أعرف الشيخين الأولين إلا عن طريق كتبهم؛ إلا أنني أعرف إبراهيم غانم
معرفة عن قرب، فهو من أكثر طلابي نشاطاً، وأكثرهم تصنيفاً، فقد ألف عدداً
من الرسائل النافعة الزاخرة بالعلم والمعرفة.

أما عن الرسالة التي نحن بصددتها؛ فقد اختار تحقيقها في هذا الوقت
بالذات؛ لأننا -أهل فلسطين- أحوج ما نكون لمثل هذا التذكير، وخاصة أن
هناك مرضى قلوب استهوتهم الحياة الدنيا، وغرهم بالله الغرور، قد انزلقوا إلى ما
تتكلم عنه هذه الرسالة، فجاءت هذه الصرخة في وقتها، لعلها تُنبه غافلاً، أو
توقف وتردع من تُسوّل له نفسه السير في هذا الطريق الخاطئ المظلم.

فجزى الله الشيخين المرحومين بإذن الله: الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ
محمد خليل غانم، على هذا التنبيه المسطور.. وجزى الله ابننا إبراهيم غانم على
جُهد في تحقيق هذه الرسالة، وجعل جهودهم في ميزان حسناتهم يوم القيامة..

وكتب

أحمد ذياب عطايا

2022-2-22 م



تقريظ أ. وجدي العاروري

ما غُزِيَ قومٌ في عُقر دارهم إلا ذلوا... وليس بالضرورة أن يكون الغزو من عدو خارجي يهدم الأسوار على رؤوسنا، بل الفرقة والجهل والابتعاد عن الدين والقيم هو أفتك غزو يتفجر من الداخل، فيشمل كل ظواهر المجتمع بإنسانيته ومادته.

ويوم أن قال الله عز وجل : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، أصبحت بركة الأقصى وما حوله عقيدة مرتبطة بأعمال الدين وقيمه، ولا تنفك عن أي ثابت من ثوابت القربات إلى الله..

فالنظرة والموقف من فلسطين هي من قيم السماء، لا من قيم البشر المتغيرة والمتبدلة حسب تقلبات الظروف والأهواء.. فيكون الحفاظ على تلك القيم من أوجب واجبات المسلمين بعلمائهم ومعتقديهم، والتمسك بهذا الواجب بدعوة قرآنية تتلى ويُتَعَبَدُ بها عشية وضحى..

وما كتاب (إنذار واستتابة) بإلقاءه وتخطيطه وتحقيقه، إلا امتداد للواجب المحافظ على فلسطين كآية من كتاب ربنا عز وجل، والأمر لا يخضع لدواعي ظرفية أو سببية كاحتلال فلسطين، فهذه مرحلة طارئة في تاريخ الأمة سرعان ما تنكشف غمتها، ولا يبقى إلا تلك القيم وحملتها، تدين لله شكرا بعقيدتها أن اختصها الله بهذه البقعة المباركة الطاهرة (فلسطين)..

كتبه

وجدي العاروري

2022-2-26م

المقدمة

الحمد لله الذي مَنَّ علينا وجعلنا موَحِّدين مؤمنين بالله تعالى، وله الحمد أن جعلنا من أمة محمد ﷺ، وله الحمد أن جعلنا من أهل الرباط في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، فما أعظم هذا الشرف وهذا الفضل وهذه المنة، فقد رُوي في حديث أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأَوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: (بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)⁽¹⁾.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإني أقدم لهذه الوثيقة التاريخية الهامة، وهي عبارة عن صيحة مدوية لإيقاظ النائمين من العرب، الغافلين عن الخطر، اللاهين عن الخطب المنتظر، الذين لا يدرون ما يَجْنُونَ على أنفسهم ووطنهم وعلى قومهم، وأمتهم، ببيعهم أرضهم في فلسطين لليهود، أطلق هذه الصيحة السيد محمد رشيد رضا رحمته الله تحت هذا العنوان (إنذار واستتابة، "ويل للعرب من شر قد اقترب")، وقد نشرها في مجلة المنار، المجلد 33، ج 7، في القاهرة، ذو الحجة 1352 هـ - إبريل 1934 م، صفحة 745 وما بعدها.

يليهامحاضرة ألقاها الشيخ في جمعية الشبان المسلمين في مصر، وقد نشرها في مجلة المنار، المجلد 34، العدد 8، ذو القعدة 1353 هـ، آذار 1935 م.

⁽¹⁾ أخرجه الإمام أحمد في المسند (21286)، قال الهيثمي في المجمع (ج 7 ص 288): "رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ وَجَادَةٌ عَنْ خَطِّ أَبِيهِ، وَالطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ".

وقد يوهمنا الإعلام المُضلل ويُحاول إقناعنا بمحدودية الصراع على القدس وفلسطين، حتى أصبح الكثيرون يَظُنُّون أن هذا الصراع بدأ مع قيام الكيان الصهيوني عام 1948م، أو أنَّه لا يعدو (وعد بلفور عام 1917م)، أو أنَّ جذوره لا تتجاوز المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في سويسرا عام 1897م، وكل ذلك تسطيح وتقليل من شأن هذه القضية، وإخفاء لجذورها العميقة، والهدف: محو هوية هذا الصراع التاريخي وطمس الأبعاد التاريخية والدينية له.

وقد أصاب القائد العسكري الإنجليزي (جلوب باشا) -وهو كاتب ومؤرخ-، أصاب كبد الحقيقة عندما كشف عن تاريخ هذا الصراع، بعباراته التي توقظ النيام والغافلين بل والسُّكاري، والتي تقول: "إن تاريخ مُشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع الميلادي"، أي: إلى تاريخ ظهور الإسلام⁽¹⁾.

إنَّ القُدس من أغلى ما يملك المسلمون؛ لأنها القبلة الأولى التي اختارها الله لهم، فتوجهوا إليها بالعبادة والدعاء طيلة ستة عشر شهراً، وهي مسرى نبينا ﷺ وثالث المساجد التي تُشدُّ الرحال إليها كما أخبرنا النبي ﷺ، وقد ثبت في القرآن الكريم أن الله تعالى قد بارك فيها وفيما حولها، ووصفها بأنها الأرض المُقدَّسة.

أما الربُّط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في سورة الإسراء ففيه رسالة إلى كلِّ المسلمين، بأن هذا المسجد في أعناقكم حمايته مثله مثل المسجد الحرام.. ووجب عليكم أن تشدُّوا الرحال إليه، كما تشدُّوها إلى المسجد الحرام.. في أعناقكم أن تُحرِّروه من ظُلم الطُّغاة.. مثلما تحرصوا على المسجد الحرام..

هذا الفضائل كلها تدفعنا دفعاً إلى الحفاظ عليها، والدفاع عنها في وجه كل الهجمات اليهودية الصهيونية، لهذا اهتمتُ بهذه الوثيقة التاريخية.

⁽¹⁾ (جلوب باشا) (1897-1986م) هو: قائد عسكري إنجليزي، كان قائداً للجيش العربي الأردني حتى عام 1956، انظر: (فقه الصراع على القدس وفلسطين، د. محمد عمارة، ص7).

هذه الوثيقة المخطوطة عبارة عن مقال للشيخ في مجلته، ومُحاضرة كان قد ألقاها في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة عام 1935م، وهناك نُسخة منها مُصَوَّرة عن مجلة المنار المذكورة آنفاً على موقع ويكي مصدر، تحت بند: كتب مصورة، على الرابط: <https://upload.wikimedia.org>

لكنَّ هذه النسخة بالنسبة إليَّ مُميَّزة جدًّا؛ لأنَّ أصلها مخطوطة اختطها جَدِّي (والد جدي لأبي) الشيخ محمد خليل غانم رحمته الذي تميَّز بخطه الرائع الراقى، وقد كان عملي في هذه المخطوطة كما يلي:

- 1- عَزَوْتُ الآيات القرآنية إلى أماكنها في القرآن الكريم، بالسورة ورقم الآية.
 - 2- تخريج الأحاديث النبوية باختصار، من مصدر واحد على الأقل.
 - 3- ذكرت معاني بعض الكلمات التي تحتاج إلى بيان وتوضيح من كُتُب المعاجم.
 - 4- أضفتُ بعض الهوامش التوضيحية.
 - 5- شَكَّلْتُ بعض الكلمات التي قد تُفهم خطأً.
 - 6- مقابلة النَّص المخطوط مع النَّص المطبوع في مجلة المنار.
 - 7- تعريف مُبَسَّط بالشيخ محمد رشيد رضا رحمته ومجلة المنار.
 - 8- تعريف مُبَسَّط بجدي محمد خليل رحمته.
 - 9- عَرَفْتُ بالأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط بشكل مُبَسَّط.
 - 10- وضعتُ بعد التحقيق صوراً للمخطوطة كاملةً، إتماماً للفائدة.
- نسأل الله تعالى القبول والتوفيق والسداد.. والحمد لله رب العالمين..

إبراهيم غانم

2022-2-20م



تعريف بالشيخ محمد رشيد رضا (رحمته الله)

(ملخص من كتاب "الأعلام" للزركلي).

وُلد رحمه الله عام 1282 هـ (1865م)، وتوفي عام 1354 هـ (1935م)، وهو بغدادى الأصل، حُسِنِي النِّسَب.

وهو: أحد رجال الإصلاح الإسلامى، ومن الكُتَّاب المشهورين بثقافتهم، ومن العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ونَظَّمَ الشَّعْرَ، وكتبَ في بعض الصحف، ثم رَحَلَ إلى مصر، ولازَمَ الشيخ محمد عبده وتلمذ عليه.

ثم أصدر مجلة (المنار) لِبَيِّن آرائه في الإصلاح الدينى والاجتماعى، وصدر العدد الأول منها في (22 من شوال 1315 هـ = آذار 1898م).

وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد)، ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتُخِبَ رئيسًا للمؤتمر السوري، فيها. وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها (سنة 1920 م)، فأقام في (مصر) مُدَّةً، ثم رَحَلَ إلى الهند والحجاز وأوروبا، وعاد فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة.

ومن أشهر آثاره: مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدًا، (تفسير القرآن الكريم) (تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده)، (الوحي المحمدي) (يُسر الإسلام وأصول التشريع العام)، (محاورات المصلح والمقلد)، (ذكرى المولد النبوي)، و(شبهات النصارى وحجج الإسلام)، وكلها مطبوعة.

وللأمير شكيب أرسلان رحمه الله كتاب في سيرته سماه: (السيد رشيد رضا أو إخوان أربعين سنة).



تعريف بجدي الشيخ محمد خليل غانم (رحمته الله)

(ملخص من كتاب: كفر نعمة الأصل والإنسان، للشيخ أحمد عطايا)

"لم يُعرف تاريخ ميلاد الشيخ (محمد خليل غانم) لكنه توفي سنة (1946 م)، وهو شيخ جليل متصوف قادري الطريقة، صاحب علم، له مؤلفات مخطوطة منها: (كرامات الأولياء) و(قصص الأنبياء)، وكان بجانب علمه الغزير نسبياً، صاحب خط جميل، كما يظهر من كتاباته ومخطوطاته رحمه الله".



وصف المخطوطة:

- 1- المخطوطة مكتوبة بخط اليد الجميل، وهو بخط النسخ وخط الثلث.
 - 2- تقع المخطوطة في 15 صفحة من الحجم المتوسط، تقريباً 15*20 سم.
 - 3- في كل صفحة 18 أو 19 سطراً، في كل سطر من 8-11 كلمة.
 - 4- وضع كاتب المخطوطة إشارة ﴿ لل دلالة على بداية فقرة جديدة.
 - 5- استخدم الكاتب في تخريج الآيات صيغة الأرقام، فمثلاً قوله: قال تعالى (137:3)، يقصد: سورة رقم 3 وهي آل عمران، والآية رقم 137.
- وكذا أسفار كتاب اليهود المقدّس عندهم، فيقول مثلاً: (6-18) أي إصحاح 6 فقرة 18.



نص المخطوط المحقق:

﴿ هذا كتاب إنذار واستتابة ⁽¹⁾ لمن ارتدع وقاب ﴾

«ويل للعرب، من شرّ قد اقترب» (حديث صحيح) ⁽²⁾

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، على القوم المفسدين.

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ التُّذْرِ الْأُولَى (56) أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58) أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61) ﴾ [سورة التّجم] ⁽³⁾.

نعم إنكم سامدون ⁽⁴⁾، أي غافلون عن الخطر، لاهون عن الخطب المنتظر، وقد أزف؛ بل حصر، منكم من يبيع أرضه لليهود، ومنكم من يشتري أرض غيره لهم، ولا تدرون ما تجنون ⁽⁵⁾ على أنفسكم، ووطنكم، وعلى قومكم وأمتكم، كل ما كتبه المُقدِّرون لخطر اليهود في ما يُسمونه "المسألة الصهيونية" قليل، وكل ما كتبه المُصغِّرون خطبها ضعيف، فالخطر أكبر، والخطب أعظم، وسوط انتقام الله تعالى مصبوب على أهل فلسطين أولاً، وعلى الأقرب فالأقرب

⁽¹⁾ التوبة: الرجوع عن الذنب، والاستتابة: طلب التوبة والترغيب فيها والحض عليها.

⁽²⁾ أخرجه مسلم في صحيحه برقم: 2880 من حديث زينب أم المؤمنين رضي الله عنها.

⁽³⁾ في المخطوط كُتب بين قوسين (قرآن كريم)، وأنا ذكرت اسم السورة وأرقام الآيات بدلاً من ذلك.

⁽⁴⁾ من معاني الفعل (س م د): الغفلة والذهاب عن الشيء، و(السامد) هو اللاهي الغافل عما يُحيط

به من أخطار. قال المبرد: السامد: القائم في تحيّر، وأنشد لهزيلة بنت بكرٍ تبكي عاداً:

قِيلَ قُمْ فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ *** ثُمَّ دَعَا عَنْكَ السُّمُودَا

⁽⁵⁾ (تَجَنُّونَ) أي: تجرمون في حق أنفسكم، والجناية: الذنب والجُرم، وهو ما يفعله الإنسان مما

يوجب العذاب أو القصاص في الدنيا أو في الآخرة، وفي الحديث: (لا يجنّ جانٍ إلا على نفسه) أي:

لا يُطالب بجناية غيره من أقاربه وأباعده. انظر: النهاية في غريب الأثر ص 168.

إليهم من العرب ثانيًا، ثم الذين يلونهم من العرب وغيرهم، ثم يكون البلاء الأكبر على اليهود أخيرًا، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14)﴾ [سورة الطارق].

ذلك بأن الأقدار الإلهية تقذف الظالمين جُلُودًا بِجُلُودٍ⁽¹⁾، ولا جلود في الشعوب أشد وأقوى من اليهود، فهم سوط الله⁽²⁾، ينتقم بهم، ثم ينتقم منهم، كذلك كان الأمر من أول تاريخهم، وهكذا يكون، إلى أن يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ألم تروا كيف أخرج الله -جل جلاله- أصولهم من البدو إلى مصر، فكانوا فيها صالحين مُصلحين، وفي نعمة حضارتها فارهين، وظلوا بعصبية نسبهم مُعتصمين،

(1) الجُلُود -بضم الجيم وفتحها-: الصَّخر الصَّلب، قال امرؤ القيس: كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ. انظر: (تاج العروس ج 7 ص 517).

(2) روى الطبراني في الأوسط عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنْتَقِمُ مِنْ مَنْ أَبْغَضُ بِمَنْ أَبْغَضُ، ثُمَّ أَصِيرُ كَلًّا إِلَى النَّارِ». قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ج 7 ص 289: "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ أَحْمَدُ بْنُ بَكْرٍ الْبَالِسِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ".

فهذا الكلامُ صحيحٌ، وهو خطيرٌ ومُخيفٌ، حيثُ ينتقمُ الله تعالى من الظَّالِمِينَ بِالظَّالِمِينَ، وَيَصِيرُ الْجَمِيعُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ إِذَا لَمْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَصَدَّقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَائِلُ: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)﴾ [الأنعام].

وقد قال هذه الكلمة هولاءكو ملك المغول في رسالته إلى سيف الدين قُطُز، التي قال فيها: "إِنَّا جُنْدُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، خَلَقْنَا مِنْ سَخَطِهِ، وَسَلَّطْنَا عَلَى مَنْ حَلَّ بِهِ غِيظُهُ، فَلَكُمْ بِجَمِيعِ الْأَمْصَارِ مُعْتَبَرٌ، وَعَنْ عَزْمِنَا مَزْدَجِرٌ، فَاتَعْظُوا بِغَيْرِكُمْ، وَسَلِّمُوا إِلَيْنَا أَمْرَكُمْ...". بينما ردَّ عليه قُطُز بقوله: "... وبأن أنكم مخلوقون من سَخَطِهِ، مُسَلَّطُونَ عَلَى مَنْ حَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُهُ، وَلَا تَرْقُونَ لَشَاكٍ، وَلَا تَرْحَمُونَ عِبْرَةَ بَالِكٍ، وَقَدْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِكُمْ، وَذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ عِيُوبِكُمْ، فَهَذِهِ صِفَاتُ الشَّيَاطِينِ، لَا صِفَاتُ السُّلَاطِينِ، كَفَى بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ لَكُمْ وَاعْظَاً".

انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، ج 1 ص 514.

في ظل ملوك العرب الرُّعاة آمين، ثم استَدَلَّهم فراعنة المصريين، خوفًا من عصبيتهم وإضعافًا لها، حتى أخرجهم موسى ﷺ من ذُلِّ العبودية، بما أيده به من الآيات السماوية، فأباد الأذلة المستضعفين منهم في حياة التيه البدوية، وأخرج شطأهم الموحددين في شمس الخشونة والحرية، فَسَلَّطَهُمْ على شعوب فلسطين الوثنيين المجرمين، وجعلهم بقوة التوحيد والفضيلة هم الأئمة الوارثين، ثم كيف أفسدوا فيها فانتقم منهم بالبابليين، ثم تابوا وأصلحوا فعادت الكَرَّة لهم، ثم أفسدوا فكانت الكَرَّة عليهم، ثم سلَّط عليهم المسيحيين، فانتقموا منهم، وسلبهم الله مُلكهم ووطنهم، ومزَّقهم في الأرض كُلَّ مُزَّق.

تدبَّروا وتفكروا -أيها الناس-، من عجائب القرآن الكريم، كيف سُميت إحدى سُورِهِ المَكِّيَّة بسورة "بني إسرائيل" وبسورة "الإسرى"⁽¹⁾ لأنها افتتحت بتسبيح الله تعالى الذي أسرى بعده ورسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وتلا هذا فيها ذكر إفساد بني إسرائيل في الأرض التي كانوا فيها مرةً بعد أخرى، وكيف كان ينتقم منهم في كُلِّ مَرَّة، حتى أنه سلَّط الوثنيين عليهم وعلى هيكلمهم في كل منها، فقال في الثانية: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (7) سورة الإسراء].

(1) كذا في الأصل، ويقصد: (الإسراء)، فقد كانت تسمى كذلك في عهد الصحابة؛ لأنه ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها، وهو استيلاء قوم أولي بأس -الآشوريين- عليهم، ثم استيلاء قوم آخرين وهم الروم عليهم، وتسمى أيضًا سورة (سبحان)؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة، تقول عائشة رضي الله عنها: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَر" رواه الترمذي (3402). ومن الأمثلة أيضًا: سورة غافر تسمى بسورة (المؤمن) لأنه ورد فيها ذكره، وسورة التوبة تُسمى سورة براءة، وسورة الملك تُسمى المنجية والمانعة.

ثم سلَّط عليهم النصارى بعد الوثنيين، ففعلوا بهم الأفاعيل، إلى أن ظهر الإسلام، وفتح أهله البلاد، فأنقذوهم من الظلم والاضطهاد، ثم سلَّطهم على أمم أوربة⁽¹⁾ منهم، فأحدثوا فيها كل انقلاب⁽²⁾.

لا مُناسبة بين الإسراء بمحمد ﷺ من المسجد الأول إلى الثاني إلا⁽³⁾ الإشارة بل البشارة بإعادة مكان الهيكل مسجداً مُعظماً مُبجَّلاً، يُعبد الله - تعالى - فيه على ملَّة إبراهيم ﷺ، جدِّ محمد، وجدَّ أنبياء بني إسرائيل، ومُعيد دين التوحيد بعد أن شوهه الجميع بالشرك، فاليهود انتزعوا هذا الوطن من الوثنيين ليُيطلوا الشرك والظلم بالتوحيد والعدل، ولهذا نصَّرهُم الله عليهم، ثم انتزعه النصارى من الوثنيين؛ إذ كانوا خيراً منهم، ثم انتزعه العرب المسلمون من النصارى لما ظلموا اليهود، وكان المسلمون أعدل منهم.

وكان يُعاقبهم ويخذلهم في أثناء قتالهم إذا عصوا وظلموا، كما ترون في تاريخهم مع أنبيائهم من أوله إلى آخره، انظروا إلى الفصل السادس من سفر نبيهم "يوشع" عليه السلام، كيف فتح الله لهم (أريحا)⁽⁴⁾، وأعطاهم غنائمها، وكيف أوصاهم

(1) يقصد (أوروبا)، وقد تكرر في المخطوطة كتابتها بهذه الطريقة.

(2) حدثت في عام 1490م مذابح جماعية لليهود في إسبانيا والبرتغال، فهرب اليهود إلى القسطنطينية، حيث وجدوا ترحيباً من الإمبراطورية العثمانية، بل إنه من عصر الخلفاء الراشدين وما بعده عاش اليهود أزهى عصورهم وأفضل حياتهم في ظل دولة الإسلام، لكنهم مثل الكلب الذي يعض اليد التي امتدت إليه وأنقذته.

(3) في المخطوط غير موجود (إلا)، والتصحيح من المطبوع.

(4) إشارة إلى حديث دخولهم إلى بيت المقدس، وهو عند البخاري (3124) ومسلم (1747).

والنبي المذكور في هذا الحديث هو يوشع بن نون عليه السلام، كما بينه شراح هذا الحديث، وصرَّحت به رواية الحاكم في المستدرك (2/139)، ودلت عليه رواية الإمام أحمد في (مسنده) (2/325) بسندٍ على شرط البخاري أنه ﷺ قال: (إن الشمس لم تُحبس لبشرٍ إلا ليوشع ليالي سافر إلى بيت المقدس).

باجتناب الحرام، بقوله (18/6): "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاحْتَزُّوا مِنَ الْحَرَامِ لئَلَّا تُحَرِّمُوا، وَتَأْخُذُوا مِنَ الْحَرَامِ وَتَجْعَلُوا مَحَلَّةَ إِسْرَائِيلَ مُحَرَّمَةً وَتُكَدِّرُوهَا"⁽¹⁾.

وانظروا ما حكاؤه عنهم في أول الفصل السابع من اقترافهم الخيانة، وأخذهم الحرام، فَنَصَرَ الْأُمُورِينَ عَلَيْهِمْ، وَخَذَلَهُمْ فِي مُحَاوَلَةِ فَتْحِ (عاي) بعد أريحا: "5 فَذَابَ قَلْبُ الشَّعْبِ وَصَارَ مِثْلَ الْمَاءِ 6 فَمَزَّقَ يَشُوعُ ثِيَابَهُ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ إِلَى الْمَسَاءِ، هُوَ وَشُيُوخُ إِسْرَائِيلَ، وَوَضَعُوا تُرَابًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ 7 وَقَالَ يَشُوعُ: «آه يَا سَيِّدَ الرَّبِّ! لِمَذَا عَبَّرْتَ هَذَا الشَّعْبَ الْأُرْدُنَّ تَغْيِيرًا لِكَيْ تَدْفَعَنَا إِلَى يَدِ الْأُمُورِيِّينَ لِيُبِيدُونَا؟ لَيْتَنَا ارْتَضَيْنَا وَسَكَنَّا فِي عِبْرِ الْأُرْدُنَّ"⁽²⁾... «الخ» ما قاله في استغاثته ربه واسترحامه باستتابتهم: "10 فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «قُمْ! لِمَذَا أَنْتَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِكَ؟ 11 قَدْ أَخْطَأَ إِسْرَائِيلُ، بَلْ تَعَدَّوْا عَهْدِي الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، بَلْ أَخَذُوا مِنَ الْحَرَامِ، بَلْ سَرَقُوا" إلى أن قال ⁽³⁾: "وَلَا أَعُودُ أَكُونُ مَعَكُمْ إِنْ لَمْ تُبِيدُوا الْحَرَامَ مِنْ وَسْطِكُمْ"⁽⁴⁾ «الخ».

هكذا كان، وقد عُذْنَا اليوم إلى كلمة المثل العصري: (التاريخ يُعيد نفسه)، ولكن بشكل جديد، وهو الفتح المادي، اليهود الماديون استخدموا الإنكليز الماديين في فتح فلسطين، وقد وقفوا بهم الآن إلى عبر الأردن⁽⁵⁾، وكلهم ظالمون، يأكلون الحرام، فالله لن يكون معهم، فإن كانوا خصومهم من العرب أصحاب

⁽¹⁾ كتابهم المقدس، سفر يوشع، إصحاح 6، فقرة 18، صفحة 258.

⁽²⁾ كتابهم المقدس، سفر يوشع، إصحاح 7، فقرة 5-9، صفحة 259، وأول هذه الفقرة: "وَحَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ خِيَانَةً فِي الْحَرَامِ، ... فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ."

⁽³⁾ تكملة الفقرة: " بَلْ سَرَقُوا بَلْ أَنْكَرُوا، بَلْ وَضَعُوا فِي أُمْتِعَتِهِمْ 12 فَلَمْ يَتِمَكَّنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِلثَّبُوتِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ. يُدِيرُونَ قَفَاهُمْ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ مَحْرُومُونَ."

⁽⁴⁾ المصدر السابق نفسه.

⁽⁵⁾ لا ننسى أن هذا الكلام في ثلاثينات القرن الماضي.

هذه البلاد وما وراءها ماديّين مثلهم فلا يقدرُوا على كَفِّ عُدُوَانِهِمْ، إِلَّا بِالتَّفُوقِ عَلَيْهِمْ فِي الْأَسْبَابِ الْمَادِيَةِ⁽¹⁾، وَإِنْ كَانُوا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ مَعَهُمْ، يَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ، وَيُوحِدُ قُوَّتَهُمْ، فَتَكُونُ قُوَّتُهُمُ الْمَعْنَوِيَّةُ الْعَظِيمَةُ مُرَجَّحَةً لِقُوَّةِ كَثَرَتِهِمُ الْمَادِيَةِ الْعَظِيمَةِ، وَيَتِمَكَّنُونَ بِهَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ أَنْ يُفَرِّقُوا الْيَهُودَ وَالْإِنْكَلِيزَ، وَيُعِينَهُمُ الْمُتَدِينُونَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْمَادِيَيْنِ، فَإِنْ كَانَتْ قُوَّتُهُمُ الْمَادِيَةُ دُونَ قُوَّةِ الْيَهُودِ فَإِنَّ قُوَّةَ الْكَثَرَةِ وَرَقَبَةِ الْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْ قُوَّةِ النِّقْدِ، وَهُمَا فِي أَيْدِي الْعَرَبِ، وَالْإِنْكَلِيزِ أُحْجِجَ إِلَيْهِمَا مِنْ أَهْلِهِمَا إِذَا عَرَفُوا كَيْفَ يَنْتَفِعُونَ بِهِمَا.

الحياة جهاد وتنازع على أسباب السيادة والبقاء، والقوة نوعان، مادية ومعنوية، وأن لله تعالى في القوى المادية سُنَنًا ثَابِتَةً، يجب مُرَاعَاتُهَا فِي الْعَمَلِ، وَأَنْ لَهُ فِي

⁽¹⁾ هناك قول منسوب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في كتابه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في رسالة طويلة: "فإني آمرك، ومن معك من الأجناد، بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله؛ ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عدونا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعددتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا لم ننصر عليهم بفضلنا، ولم نغلبهم بقوتنا".

وهذه الرسالة وردت بدون إسناد في كتاب: (بدائع السلك في طبائع الملك) للأصمعي الأندلسي، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه (1/117)، ونُسب إلى عمر بن عبد العزيز في (حلية الأولياء) لأبي نُعَيْم (5/302) بمعناه، لكن إسناده ضعيف جداً، فهذا القول لم يثبت عن كلا العُمَرَيْنِ.

والحقيقة أنه لا يستوي المسلم والكافر في مقامهما عند الله، من الطاعة والمعصية؛ بل بينهما من التفاوت ما ذكره الله في كتابه الكريم، وإن عصى المؤمن ربه ما عصى، يقول الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿[سورة القلم]، ويقول جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (100) ﴿[المائدة]، ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (20) ﴿[الحشر]، وأمثالها من الآيات.

القوى المعنوية سُنًّا ثابتةً، يجب التوفيق بينها وبين المادية فيه، فمن أتقن العلم والعمل بكل منهما، كان أجدر بالفوز والفلاح ممن تقيّد بأحدهما، ومن جهل كلاً منهما أو أهمل مراعاتهما بآء بالخيبة والخسار حتمًا، ومن اقتصر على أحدهما أو قصّر فيه كان الترجيح بينه وبين خصمه منوطًا بحظ كل منهما من السير على هذه السنن، قال عز وجل: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (137)﴾ [سورة آل عمران]، ثم قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)﴾ [سورة آل عمران]، ثم قال في التي بعدها: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: 140]، فالآية الأولى بيان للناس العامة المطلقة في الأمم، والآية الأخرى في السنن المعنوية العليا في فوز المؤمنين، وإنهم لهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: 15]، والآية التي بعدها في سُنَّة التعارض بين الأمم التابع لتلك السنن كلها.

وما بيّن الله لنا سُنَّته في الأمم إلا لنعبر بها، فلا نغتر بديننا مع الجهل به، وترك العمل بهديه، ولا نياس من إنجاز وعد الله لنا، مهما تكن قوة خصومنا، وقد عَلِمْنَا من تاريخ سَلَفِنَا ما كان من نصر الله لهم على فقرهم وقلتهم، إذ كانوا ينصرونه مُهْتَدِينَ بكتابهِ، ومن خُذْلَان من خلف من بعدهم لما⁽¹⁾ أَعْرَضُوا عن كتابهِ، وتَنَكَّبُوا سُنَّته في عبادهِ.

قلنا آنفًا أن القوة المادية الحقيقية في هذا العالم هي رقبة الأرض التي هي مصدر الثروة، والأيدي العاملة التي تُفَجِّر ينابيع الثروة منها، وإنما أرض فلسطين والأردن والشام والعراق وجزيرة العرب كلها للعرب، والأيدي العاملة

⁽¹⁾ في المخطوط (بعدهما)، وما أثبتناه من المطبوع، وهو أقرب للمعنى.

فيها أيدي العرب، لكن اليهود يفوقون العرب في القوة المعنوية، وهي العلم والوحدة والنجدة والتعاون والتناصر⁽¹⁾، ألا وقوة الدين، ألا وقوة الدين.

إِنَّ جُلَّ⁽²⁾ قوة الدين في الأخلاق، والأخوة، والتكافل، والتعاون، والتناصر، والجهاد بالأموال والأنفس، وقد نقضت التربية الفاسدة في الأمصار العربية غزلهما، ونكثت قتلها⁽³⁾، وما بقي منها في البدو وما يقرب منه في القرى فليس له نظام يجمع أهواء أهله المتفرقة فيوحدوها، والمتفرقون لا قوة لهم ولا نجدة، فكثرتهم قلة.

وأما اليهود فهم -على تفرقهم في أقطار الأرض كلها- كتلة واحدة، وإلب⁽⁴⁾ واحد في قوميتهم وتعاونهم الديني والدنيوي، فإن فرضنا أن الملاحدة والفساق منهم ومن الإنكليز أشد فسقا وظلما وأكلا للحرام من أمثالهم من العرب، فإننا لا نجهل أنهم يظلمون بذلك غيرهم لا أنفسهم، ويأكلون أموال الناس بالحرام والباطل لا أبناء جلدتهم، وأن خصومهم من العرب عون لهم على قومهم بالخيانة والفسق، إذ كل من يبيعهم أرضه، أو يشتري لهم أرض أخيه العربي فهو خائن لقومه، وفاسق عن دينه، عاصٍ لربه، فهل يقترب اليهودي أو الإنكليزي هذه الخيانة لقومه كالعربي؟

(1) كذا يظهر، لكن الله يقول: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (الحشر: 14).

(2) جُلَّ الشيء أي: مُعظمه وأكثره، وتأْت بمعنى أكبره أيضًا، كما في دعاء النبي ﷺ: (اللهم اغفر لي ذنبي كُلَّهُ، دَقَّهُ وَجَلَّهُ) كما في صحيح مُسلم 483، وَجَلَّ الأمرُ أي: عَظُمَ، وأمرٌ جَلَلٌ أي: خطير كبير، ومنه اسم الله تعالى: الجليل. انظر: مختار الصحاح ص 66.

(3) كناية عن ضعف الأمة وتشردمها وتفرقتها.

(4) الإلب في اللغة هم: القوم الذين يجتمعون ويتوحدون على عداوة أو حرب شخص ما، أو جماعة ما، أو دولة ما، و"تألب القوم" أي اجتمعوا واحتشدوا. انظر: تاج العروس ج 2 ص 28.

لقد وصف الله تعالى اليهود الذين نَصَرَ رسوله خاتم النبيين عليهم بقوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (2)﴾ [سورة الحشر]، فهل نعتبر بهذا، ونرى أي الفريقين مِنَّا ومنهم يُخربون بُيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم في ظل هذا العصر؟

ثم وصفهم بقوله: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]، فأَي الفريقين مِنَّا ومنهم يصح فيه هذا الوصف اليوم؟ فإذا كُنَّا نريد أن نحفظ وطننا وأمتنا من استيلاء اليهود علينا بقوة الدين المعنوية؛ فيجب علينا أن نتبع فيه سيرة سلفنا الذين انتصروا عليهم في العصر الأول، وأخرجوهم من جزيرة العرب.

وإذا أردنا أن نغلبهم بقوتنا المادية، وهي كثرتنا ومُلكنا لرقبة الأرض؛ فيجب علينا أن نجمع كلمة الأمة العربية، ونُوَحِّد قُواهرها، لتكون يدًا واحدة، وإلَّا واحدًا في الذود عن حقنا، وحفظ أرضنا لها.

إنهم يأخذون أرضنا الآن ببيع الخائنين، أو سَمَسَرَتِهِمْ⁽¹⁾، وأن ما يأخذه خونتنا منهم من مال قليل سيعود إليهم بفسق هؤلاء الخونة وجهلهم، وسينتهي هذا التنازع إلى القتال، وهم يستعدون له، ونحن لا نستعد، وقد تنبأ نبينا ﷺ بهذا، ووعدنا بالظهور والنصر عليهم، فقال⁽²⁾: «تُقاتلونهم فتظهرون عليهم، حتى

⁽¹⁾ السمسار هو: الوسيط بين البائع والمُبتاع، لتسهيل الصفقة، وهي لفظة فارسية مُعرَّبة، كما في المعجم الوسيط ج 2 ص 448.

⁽²⁾ يبدو أن الشيخ رحمه الله ذكر الحديث هنا بالمعنى، فإني لم أجده بهذا اللفظ، لكن أخرج البخاري (2926) لفظ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ)، وعند مسلم (2922): (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلَفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ).

يقول الشجر والحجر: ههنا ورأى يهودي تعال يا مسلم فاقتله» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من عدة طُرُق، ولكن هذا الوعد لا يظهر إلا فيمن يكون وطنهم بأهله وشجره وحجره مُتفقًا على هذا الدفاع⁽¹⁾، فما ذكر الرسول ﷺ الشجر والحجر إلا من باب التمثيل⁽²⁾، فمتى نكون كذلك؟

إنني كررت هذا الحديث في المنار لأُقيم به الحُجة على أن بشارة نبينا ﷺ لنا أصرح في أمر المستقبل من بشارة أنبيائهم المُبهمة في مسيحهم وعودة مُلك إسرائيل به إلى فلسطين، وأرى بعض الناس يتأوّل به نصرنا على عُدوان الصهيونيين بدون ما شرطه الله لنصر المؤمنين، وقد نَوّه به خطيب جمعية الشبان المسلمين بمصر في حفلة ذكرى تاريخ عهد بلفور⁽³⁾ المشؤم في هذا العام⁽⁴⁾، وتعقّبه ببيان الحق وتفصيله في المحاضرة التالية.



(1) كناية عن اتفاق وتوحد كل طوائف وأفراد المجتمع لمواجهة هذا الخطر الدائم.
 (2) وسيكون كلام الحجر والشجر على الحقيقة أيضًا، حيث سيتكلم كما يتكلم البشر في آخر الزمان دعمًا وتأييدًا للمسلمين المؤمنين، في وجه اليهود المجرمين.
 (3) وعد بلفور أو إعلان بلفور بيانٌ علنيّ أصدرته الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى لإعلان دعم تأسيس "وطن قوميّ للشعب اليهودي" في فلسطين، التي كانت منطقة عثمانية ذات أقلية يهودية (حوالي 3-5٪ من إجمالي السكان). وذلك بتاريخ 2-11-1917م.
 (4) أي عام 1934م.

﴿مُحاضرة صاحب هذه المقالة في جمعية الشبان المسلمين﴾⁽¹⁾

أيها الإخوان:

كنت عازماً على أن أسمع في اجتماع هذا العام ولا أتكلم، حتى إذا ما فرغ الخطيب الأول صديقي الأستاذ المؤرخ الشيخ "عبد الوهاب النجار"⁽²⁾ من خطبته، بدا لي أن أتعبه أو أُقْفَى⁽³⁾ عليه متطوعاً بكلمة تكون مقابلة لكلامه من ناحية غير الناحية التي سلكها، وهي لا مندوحة⁽⁴⁾ عنها فأقول:

مضت سنة الأمم أن يسلك مرشدها في الكوارث التي تنزل بها طريقتين:

(1) جمعية الشبان المسلمين: جمعية اجتماعية تأسست بمدينة القاهرة عام 1346 هـ - 1927 م تهدف إلى تنمية الشباب المسلم في مجالات الفكر والثقافة والرياضة عن طريق عمل الندوات والمعسكرات. ولها فروع في جميع محافظات مصر. ويضم بعض فروع الجمعية مكاتب ودورا للحضانة والمغتربات ومراكز لتدريب الفتيات على الحرف اليدوية ومراكز لتكنولوجيا المعلومات وتعلم اللغات، هذا إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم.

(2) عبد الوهاب بن أحمد النجار، (1278 - 1360 هـ) (1862 - 1941 م) أستاذ تاريخ غير تقليدي، ظل أثره ممتداً فيما ترك من آثار، فكان ألمع المؤرخين في مصر في القرن العشرين. تخرج من مدرسة دار العلوم عام 1315 هـ الموافق 1897 م. اشتغل بالمحاماة، وعمل أستاذاً للأدب في مدرسة البوليس بالقاهرة، فأستاذاً للتاريخ في الجامعة المصرية، واشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية وفي مقدمتها جمعية الشبان المسلمين، وتوفي بالقاهرة.

من مؤلفاته: (قصص الأنبياء) وهو أوسع مؤلفاته شهرة، و(تاريخ الخلفاء الراشدين)، (تاريخ الإسلام)، (زهرة التاريخ)، (مذكرات عن الهند)، (الأيام الحمراء - يوميات ثورة 1919 م)، (تحقيق الكامل في التاريخ لابن الأثير). أنظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج 6 ص 220.

(3) القفا هو مؤخرة العنق، و "تَقَفَى أثره" أي اتبعه أو سار خلفه أو جاء بعده، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (الحديد: 27).

(4) نَدَحَ الشَّيْءُ أَي: وَسَّعَهُ، والمندوحة: المكان الواسع، ويُقال: "إِنَّ فِي المعارِضِ مندوحةً هن الكذب" أي: تُغني عنها وتحل محلها، والمقصود بقوله ﷺ هنا: لا غنى عن ذكر هذه الكلمة.

(إحداهما) تهوين الخطب، وتصغير الكارثة، وتقوية الرجاء بزوالها وانكشافها عن قريب؛ إشفافاً عليها من اليأس، وقد سَلَكَ هذه الطريقة الأستاذ -عبد الوهاب النجار- فصوّر كارثة اليهودية الصهيونية بسحابة صيف تنذر فلسطين بطوفان عظيم، ثم لا تلبث أن تنقشع وتزول؛ ولكنه توقع أن يكون خذلان اليهود فيها، والقضاء على ملك إسرائيل الذي يحاولون تأسيسه⁽¹⁾ في مهد ملك داود وسليمان بظهور مسيحهم الدجال الذي حَذَّرَ منه الأنبياء عليهم السلام، وآخرها خاتمهم محمد رسول الله ﷺ الذي أمر أمته أن تستعيز بالله من فتنه في الدعاء المأثور بعد التشهد الأخير من الصلاة⁽²⁾.

فإن كان المصاب بعدوان اليهود على فلسطين لا ينكشف إلا بظهور مسيحهم الدجال فياللهول، وباللرزية، إنه لبلاء لا ينكشف إلا في آخر عمر الدنيا، ولا تلبث بعده أن تقوم الساعة.

وقد أشار الأستاذ الخطيب إلى ما ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة من القتال بين اليهود والمسلمين، والبشارة بأن المسلمين يظهرون عليهم فيه، وذهب علماؤنا إلى أن هذا سوف يقع في عهد المسيح الدجال.

وأما الطريقة التي أريد سلوكها في بيان ما يجب على الأمة العربية والشعوب الإسلامية، من العبرة بالنكبة اليهودية الصهيونية، فهي طريقة الأسباب الدنيوية، والسنن الاجتماعية، التي يسير عليها أهل البصيرة والعلم قبل وقوع ما أنبأ به

⁽¹⁾ كانت هذه المحاضرة قبل تأسيس ما يُسمونه زورًا وبُهتانًا: (دولة إسرائيل) على أرض فلسطين التي اغتصبوها من أهلها بنحو خمسة عشر عامًا. والشيخ هنا يُبدي بُعد نظر كبير، فلا يُقلل من شأن الخطر الداهم، ولا يركن إلى الغيبات المستقبلية، مع تصديقنا بحدوثها.

⁽²⁾ أخرج مسلم (588) عن أبي هريرة رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)".

الأنبياء عليهم السلام من مقدمات خراب العالم وقيام الساعة، ومنها ظهور المسيح الدجال الذي رَجَّحْتُ في تفسير المنار أن اليهود سيهيئون أسبابه ومعجزاته بالعلوم الكونية⁽¹⁾.

وإنني - مع هذا - أعتقد أن العدوان الصهيوني الحال بمساعدة الإنكليز على فلسطين لا ينتهي إلا بقتال بينهم وبين العرب، لا أقول هذا تحريضاً لكم -أيها الحاضرون- عليه، فإنني لا أظن أن أحداً منكم أهلاً ولا مستعداً له؛ وإنما هذه عاقبة طبيعية لما هو واقع هنالك، فقد ثبت في الأخبار المتواترة أن اليهود في فلسطين يقتنون السلاح ويستزيدون منه بالتهريب من أوربة، وقد عثرت الحكومة على باخرة تحمل شيئاً ليس بالقليل منه لليهود من أيام قليلة، وأنَّ أُمَّةً غَنِيَّةً تريد إخراج قوم من ديارهم لجعلها ملكاً لها لا بُدَّ لها من الاستعداد للقتال، فاليهود يجلبون السلاح العصري من أوربة، والدولة الإنكليزية قد نزعت سلاح عرب فلسطين من أيديهم، وهي تريد نزع سلاح إخوانهم في شرقي الأردن عند سنوح الفرصة بمساعدة خونة العرب وسواعدهم، ومتى تم هذا؛ يُسَمَح لليهود بنزع أرض شرقي الأردن، كما ينزعون أرض فلسطين، هذا رأي لي قديم⁽²⁾ في عاقبة الحكومة المؤقتة في شرقي الأردن طالما صَرَّحْتُ به لمن لقيتُ من أهل البلاد، وَقَلَّ مَنْ كان يعقله؛ ولكنهم سيرونه بأعينهم.

هذه مقدمة سنحت قبل الكلمة المقصودة من وقفتي هذه، وهاؤم اسمعوها باختصار: إن خطر ما يسمونه (المسألة اليهودية الصهيونية) كبير هائل جدًّا، هو أكبر من كل ما قيل وما كتب في تكبيره وتهويله، ولو ظل اليهود على اعتقادهم القديم وانتظار المسيح الذي بُشِّرُوا به، وفسروه بِمُلْكٍ دنيوي يعيد لهم ما فقدوا

⁽¹⁾ انظر قوله ﷺ عند الآية 187 من سورة الأعراف، ج 9 ص 415 وما بعدها.

⁽²⁾ في المخطوط (قد تم) والاستدراك من المطبوع.

من ملك سليمان عليه السلام بتأييد الله تعالى له بالآيات والمعجزات، لَمَّا كان خطب الصهيونية هو الخطر الذي أعنيه، بل لَمَّا وُجِدَت هذه الصهيونية التي نخشاها، وننذر الأمة خطرها.

تلك عقيدة دينية، مرَّت القرون ولم يستعد اليهود لظهورها وإظهارها بقوة اجتماع ولا سلاح ولا مال، ولا عمل من الأعمال، بل كانت مانعة لهم من الاستعداد لإعادة ملكهم من طريق الأسباب؛ لاعتقادهم أنه سيكون بآيات إلهية هي فوق الأسباب، فمثلهم فيه كمثّل جماهير المسلمين - ولاسيما الشيعة - في عقيدة المهدي المنتظر بظهوره بعد أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً، فيملؤها عدلاً⁽¹⁾.

كانت هذه العقيدة من أسباب خنوع المسلمين وسكونهم وسكوتهم على ما أصابهم من جور الظالمين المخربين منهم، ثم من سلب الإفرنج لأكثر ملكهم: كلما ظهر فيهم عاقل يدعوهم إلى الدفاع عن أنفسهم يصدونه بقولهم: إن الأرض ملئت جوراً وظلماً، وقد قرب زمن ظهور المهدي، ولن ينقذها غيره، ولم يخطر في بال أحد من زعمائهم أن يدعوهم إلى الاستعداد لظهوره ليكونوا معه كما كان المهاجرون والأنصار مع النبي ﷺ؛ لاعتقادهم أن ظهوره وعمله وسيكون بالكرامات وخوارق العادات؛ ولذلك خُدِعَ ألوف منهم بظهور الدجالين المدعين لهذه المهدوية، ولما هو فوقها ومتم لها من ظهور المسيح، كما فعل الباب⁽²⁾.

(1) لا يجب أن يكون اسم المهدي (المهدي المنتظر)، فالمهدي الذي ورد ذكره في الأحاديث الصحيحة هو مَلِك صالح على المسلمين، سيكون زمانه زمان خير وبركة، ولا أحد ينتظره حتى يُقال: مُنتظر، ولا تُعلق على خروجه الآمال والأعمال والأحلام، فهذا ما لا ينبغي للمسلم الذي أمره الله بالعمل، سواء أتى المهدي في حياته أم لم يأت.

(2) اسمه المرزا علي الشيرازي يدين بالمذهب الشيعي الجعفري، أسس فرقة البابية، وادعى أنه المهدي، ثم ادعى النبوة فتلقفته الأيدي الروسية والإنجليزية، وقام الروس بدعوه من أجل هدم الدين الإسلامي، وتفريق المسلمين فيما بينهم، وأُعدم في 27 شعبان 1266هـ - 8/7/1850م.

والبهاء⁽¹⁾ و غلام أحمد القادياني⁽²⁾، فكانت عقيدة المهدي المنتظر، والمسيح المنتظر مثار فتن وحروب مبيرة، سُفِكتَ فيها دماء غزيرة⁽³⁾.

رأى بعض اليهود - الذين درسوا العلوم الكونية والاجتماعية والتاريخ في أروبة - أن قومهم يعللون أنفسهم بأمنية ظهور مسيح يجدد لهم ملكهم، وأن القرون تتلو القرون على هذا الاعتقاد، وهم لا يزدادون إلا تفرقاً وذاً بفقد

⁽¹⁾ هو حسين عليّ الملقب بالبهاء، ولد في إيران سنة 1817م، انضم في شبابه إلى البابية، ثم انشق عنهم وأسس الفرقة البهائية، ولم يكتفِ بادّعاء النبوة، بل تجاوزها إلى ادّعاء الألوهية، نفته الخلافة العثمانية في عام 1868م إلى مدينة عكا؛ حيث تلقاه اليهود المقيمون في المدينة بالترحاب، وكفلوا له الأموال، وأحاطوه بالرعاية والأمن، وعندما اطمئن البهاء وسط الحماية اليهودية انطلق في دعوته الخبيثة، أصيب في آخر حياته بالجنون، وهلك في 2 من ذي القعدة 1309هـ الموافق 29/5/1892م، وخلفه في رئاسة البهائية ابنه عباس الملقب بعبد البهاء.

⁽²⁾ ولد سنة 1835 - وهلك سنة 1908م، هو مؤسس الجماعة الأحمدية بقاديان في الهند، ويعتبر عند أتباعه هو المهدي المنتظر والمسيح الموعود. وقال بأنه مجدد للإسلام خلال القرن الرابع عشر الهجري، ثم ادعى النبوة، لُقّب بـ "مسيلمه البنجاب" أو "مسيلمه الهند".

⁽³⁾ وَضَحَ الشَّيْخُ ۞ مَاذَا يَقْصِدُ بِهَذَا الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ الْمَنَارِ (ج 6 ص 48) عِنْدَ آيَةِ سُورَةِ النَّسَاءِ 160، بِقَوْلِهِ: "يَعْلَمُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ أَنََّّهُ وَرَدَ فِي عِلَامَاتِ السَّاعَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ يُخْرِجُ رَجُلًا مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ۞ يُقَالُ لَهُ الْمَهْدِيُّ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ أَنْ تَكُونَ قَدْ مُلِئَتْ جَوْرًا، وَيَنْزِلُ فِي آخِرِ مُدَّتِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَرْفَعُ الْجِزْيَةَ وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ. وَلَيْسَ هَذَا مَقَامَ تَحْرِيرِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَإِنَّمَا اقْتَضَتْ الْحَالُ أَنْ نَذْكُرَ مِنْ ضَرَرِهَا أَنَّهَا - لِإِنْتِظَارِ الْمُسْلِمِينَ لَهَا، وَيَأْسِهِمْ مِنْ إِعَادَةِ عَدْلِ الْإِسْلَامِ وَمَحَبَّةِ بِدُونِهَا - قَدْ كَانَتْ مَثَارَ فِتْنٍ عَظِيمَةٍ. فَقَدْ ظَهَرَ فِي بِلَادٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَزْمَنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ أَنَأْسُ يَدَّعِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ يُخْرِجُ عَلَى أَهْلِ السُّلْطَانِ وَيَسْتَجِيبُ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَغْرَارِ، فَتَجْرِي الدَّمَاءُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جُنُودِ الْحُكَّامِ كَالْأَنْهَارِ، ثُمَّ يَكُونُ النَّصْرُ وَالْعَلْبُ لِلْأَقْوِيَاءِ بِالْجُنْدِ وَالْمَالِ، عَلَى الْمُسْتَنْصِرِينَ بِتَوْهْمِ التَّائِيدِ السَّمَائِيِّ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَقَدْ ادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَةَ أَيْضًا أَنَأْسُ مِنَ الضُّعَفَاءِ أَصَابَهُمْ هَوَسُ الْوِلَايَةِ وَالْأَسْرَارِ الرُّوحِيَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ تَأْثِيرٌ يُذَكِّرُ.....".

الملك، ورأوا من عبر التاريخ أن أفرادًا من أصحاب الهمة والعزيمة قد أسسوا ممالك قوية، فتوجهت عزائمهم إلى تأسيس ملك لقومهم بالأسباب الاجتماعية دون الاعتماد على الأوهام الاعتقادية النافية لسنن الاجتماع، فأسسوا هذه الدعوة الصهيونية على قواعد العلم والمال، وتوحيد قوة الأمة وجمع كلمتها.

وضعوا لعملهم رأس مال كبير فكان بنكا للصهيونية، وضعوا له دائرة معارف يهودية صهيونية، ووضعوا نظامًا اجتماعيًا لجمع كلمة الأمة: يعقدون له المؤتمرات تلو المؤتمرات، في أمصار أوربة وأمريكة، ولقد كان اليهود - المتكلمون على ظهور (مسيًا) مؤيدًا بالعجائب والخوارق السماوية - ينفرون من هذا النظام ويعدونهم كفرا وإلحادًا، أو هرطقة وزندقة؛ ولكن الحقائق العلمية والمسايع العملية، ما زالت تدحض الآراء الوهمية، حتى صار يهود العالم كلهم أنصارًا للجمعية الصهيونية، حتى إن فقراء يهود اليمن والمغرب الجاهلين يهاجرون إلى فلسطين؛ ليشهدوا تأسيس ملك إسرائيل.

ما ينبغي لنا ولا لعاقل أن يستصغر عمل هؤلاء القوم، أو يستكبر نهوضهم به مهما يكن كبيرًا في نفسه، فاليهود شعب قوي العزيمة، شديد الشكيمة، عظيم الكيد والحيلة، قد أحدثوا أعظم انقلاب في الدول والأمم، وكان آخر ما أحدثوا انقلاب دولة الخلافة التركية الحميدية، ودولة القيصرية الروسية، ثم كانوا هم السبب في انكسار الدولة الألمانية القاهرة في حرب المدنية العامة، وإن دولة بريطانية العظمى لترى نفسها مُسَخَّرَةً لهم في مساعدتهم على تأسيس ما سمته (الوطن القومي في فلسطين) بمقتضى وعدها لهم بما يسمى (عهد بلفور) وهو الذي اجتمعنا للاحتجاج عليه اليوم كما نفعل في كل عام⁽¹⁾، وقد سبقونا هم للاحتفال

⁽¹⁾ هنا يُبين رحمته أن السبب في عقد هذه المحاضرات وهذه الاجتماعات وهذه الخطب هو التنديد بوعد بلفور والاحتجاج عليه.

بهذه الذكرى في مصر وفي كل قُطر، وشتان بين اجتماعنا واجتماعهم، نحن نجتمع للندب والاحتجاج بالكلام، وهم يجتمعون للتهاني والتعاون بالأموال والأعمال.

فالذي أبغيه بكلمتي هو أن نعتبر بأعمالهم ونقتدي بهم فيها، بل نقتدي بما أمرنا به كتاب ربنا من المحافظة على ملتنا وأمتنا بالجهاد في سبيله بأموالنا وأنفسنا.

إن عدد اليهود في العام كله بضعة عشر مليوناً على أكثر تقدير - 15 أو 17 مليوناً - وإن عدد المسلمين ليبلغ أربعمئة مليون، وإن عدد العرب الذين يريدون نزع فلسطين من أيديهم⁽¹⁾ لا يقل عن مائة مليون⁽²⁾، وإن اليهود خصوم للمسلمين والنصارى منهم على سواء، إنهم خصوم لهم في وطنهم المشترك ومعاهدهم المقدسة فيه، بل خصوم لهم في دينهم أي في دين الإسلام ودين النصرانية - كيف هذا؟

إن عقيدة اليهود في إعادة مُلك إسرائيل بالمسيح المنتظر تكذيب لدين الإسلام وتكذيب أصرح للمسيح عيسى ابن مريم ﷺ؛ فإنه هو المسيح الذي بشرهم به أنبياءهم فكذبوه، وهو الذي أنذرهم خراب هيكلهم السليماني حتى لا يبقى فيه حجر على حجر، وهم يريدون إعادته إتماماً لتكذيبه، ومن عجائب همتهم وكيدهم أنهم يُسَخِّرُونَ الدول المسيحية كلها لمساعدتهم الأدبية، وسخروا بريطانيا المسيحية لتأسيس هذا الملك لهم بقوتها السياسية والعسكرية، ومخالفة تقاليد النصرانية والأدبية، فانظروا إلى مبلغ كيدهم وقوتهم⁽³⁾.

⁽¹⁾ أي: أيدي اليهود أو الأنكليز.

⁽²⁾ اليوم مصر لوحدها تربو على مئة مليون نسمة.

⁽³⁾ انظر - إن شئت - كتاب: (في فقه الصراع على القدس) للدكتور محمد عمارة، ففيه تفاصيل عن كيفية تحويل المسيحية اتجاه بوصلتها إلى خدمة اليهود في كل مكان، وخاصة في القدس وفلسطين.

وماذا عسى أن يفعل العرب في إيقاف الدولة البريطانية عند هذا الحد الذي بلغته من تسخيرهم لها وليس عندهم إلا الكلام؟

إن في بلاد الإنكليز خصومًا لليهود كخصومهم في سائر بلاد أوربة؛ ولكنهم أعظم نفوذًا في هذه الدولة من خصومهم من أهلها، فماذا عسى أن يبلغ تأثيرنا فيها؟

إن نفوذهم قائم على أساس المال والصحف السياسية؛ لأنهم يملكون القسم العظيم من سهام⁽¹⁾ شركاتها.

وإن للعرب لقوة أعظم من قوتهم بكثرة عددهم، وسعة بلادهم ونفوذهم المعنوي الديني في الهند وغيرها من الإمبراطورية البريطانية⁽²⁾؛ ولكنهم يجهلون وسائل الانتفاع بهذا النفوذ في جمع المال، وفي تهديد الدولة الإنكليزية وإلجائها إلى ترجيح مصلحتهم على مصلحة اليهود الصهيونيين.

وقد قلت لكم في هذا المكان من قبل: إن الانتفاع بهذه القوة العربية، من إسلامية ومسيحية⁽³⁾، وبالقوة الإسلامية التي تؤيدها، يتوقف على نظام لا يجوز شرحه في هذه المحافل، وإني أعيد هذه النصيحة وأكرر التذكير بها عملاً بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: 9-10].

قائلها⁽⁴⁾: صاحب مجلة المنار محمد رشيد رضا.



⁽¹⁾ يقصد أسهم شركاتها، ونسبة المساهمة فيها.

⁽²⁾ كانت بريطانيا تحتل الهند في أيامها، وقد بدأ هذا الاحتلال عام 1858 وانتهى في 1947م.

⁽³⁾ يُحاول الشيخ استنهاض الأمة وحثها على الاتحاد وجمع الشتات والملمة الاختلافات، بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين والمسيحيين أيضًا، لأنهم شعب واحد يعيش على هذه الأرض.

⁽⁴⁾ في المطبوع لا يوجد (قائلها).

فتوى واقتراح على قارئى هذا الإنذار

إن من يبيع شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنكليز فهو كمن يبيعهم المسجد الأقصى، وكمن يبيع الوطن كله؛ لأن ما يشترونه وسيلة إلى جعل الحجاز على خطر، فرقة الأرض في هذه البلاد هي كرقبة الإنسان من جسده، وهي بهذا تعد شرعاً من المنافع الإسلامية العامة، لا من الأملاك الشخصية الخاصة، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل، وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام⁽¹⁾، لا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وإنما أقترح على كل من يؤمن بالله، وبكتابه، وبرسوله خاتم النبيين أن يثبت هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خيانتهم، في كل شيء من المعاشرة والمعاملة والزواج والكلام حتى رد السلام.

ورد في صحيح مسلم⁽²⁾ أن الله تعالى وعد رسوله ﷺ لأمته: (أن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من

⁽¹⁾ لا يباح للكافر أسباب تملك الأرض في دار الإسلام، كشراء العقارات أو إحياء الموات أو أن يملك شيئاً بالشفعة، وهذا كله في حق الذي يُقر بقاءه في دار الإسلام بالجزية فكيف بحال الحربي المحارب للمسلمين، كيف يُمكن من التملك في دار الإسلام؟ هذا لا يباح بحال، لذا فقد منع العلماء من ذلك كله لأهل الذمة الذين هم من أهل دار الإسلام، انظر: مغني المحتاج (شافعي) ج3 ص496، ومنح الجليل (مالكي) ج3 ص222، وشرح زاد المستقنع للشنقيطي (حنبلي)، وانظر بحث بعنوان: (تمليك دار الإسلام لغير المسلمين) على موقع صيد الفوائد.

⁽²⁾ يروي رحمته الحديث أيضاً بمعناه، ونص الحديث: (... وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لَأُمَتِّي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةِ عَامَةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيَاضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتَ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لَأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بَسَنَةِ عَامَةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيَاضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، وقد أخرجه مسلم في صحيحه (19 - 2889)، غيره.

بأقطارها) ... إلخ ما معناه، حتى يكونوا هم الذين يفعلون بأنفسهم ذلك، وقد بينت في شرحه من جزء التفسير السابع (ص 495 و 496 طبعة ثانية) أنه ما زال مُلك الإسلام عن قطر إلا بخيانة من المسلمين فتوبوا إلى الله أيها الخائنون .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28) ﴾ [سورة الأنفال]، صدق الله العظيم⁽¹⁾.

تَمَّت هذه الرسالة بِقَلَمِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أضعف الكُتَّاب، عبدٌ للربِّ الجليل محمد الشيخ خليل الشيخ أحمد الشيخ غانم، غفر الله له، ولوالديه، وَلَمَنْ عَلَّمَهُ وَقَرَأَهُ⁽²⁾، وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ مُؤْمِنًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ الدَّعَوَاتِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

آمين

م

في 15 شهر صفر الخير، سنة 1357 هجرية⁽³⁾، على صاحبها

أفضل الصلاة وأزكى التحية.



⁽¹⁾ لا توجد هذه الجملة في المطبوع.

⁽²⁾ كذا في المخطوط، ولعلها: (أقرأه).

⁽³⁾ يوافق هذا التاريخ 15 أو 16 نيسان 1938م.

قال بعض الصّالحين في كرم الله تعالى⁽¹⁾:

إذا سألتَ فاسألَ إلها قادراً *** كُـلُ الخلائق والملوك ببابه
من جاء يطلبُ من خزائن فضله *** شيئاً بِصِدْقٍ لم يُرْجأ إلا به
أوشئتَ نيل العزِّ؛ ذلّ لتعزّه *** واخضع وضع خَدَيْكَ فوق تُرابه
مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً مُتَوَاضِعاً *** مُتَشَفِّعاً بِنَبِيِّهِ وكتابه
يُعْطِيكَ ما ترجوه منه تَفَضُّلاً *** وتكون في الدارين من أصحابه
وإذا أردتَ مَدَى الزمان حوائجاً *** فالجأ إليه وقِفْ على أعتابه
تلقى العجائب من محاسن صنعه *** فافهم هداك الله طُرُق صوابه
فاقبل أُخِيَّ وصيتي تسعد بها *** فتفوز منه بأجره وثوابه
مولاي صَلِّ على النبي وآله *** وارحم وبارك وارض عن أصحابه



تم الانتهاء من التحقيق يوم الثلاثاء 21 رجب 1443 هـ

الموافق 22 / 2 / 2022 م

إبراهيم غانم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

⁽¹⁾ لم أجد من قال هذه القصيدة، لكن عدلتُ في بعض الأبيات قليلاً لتكون موزونة قدر الإمكان.

صورة عن المخطوط (كاملة):

هَذَا كِتَابُ أَنْذَارٍ وَاسْتِثَابَةٍ لِمَنْ ارْتَدَّ وَتَابَ
وَيْلٌ لِلْعَرَبِ، مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ

«حَدِيثٌ صَحِيحٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ
مِنْ تَذِيرٍ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى، أَرْفَعُ الْأُفْرَافَةَ، لَيْسَ لَهَا مِنْ
مِنْ دُونَ اللَّهِ كَاشِفَةٌ، أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ، وَ
تَصْحُكُونَ وَلَا تَبْكُونَ، وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ، قُرْآنَ كَرِيمٍ،
نَعَمْ أَنْكُمْ سَامِدُونَ، أَيُّ غَافِلُونَ عَنِ الْخَطَرِ، لَاهُونَ عَنِ الْخُطْبِ،
الْمُنْتَظَرِ، وَقَدْ أَرَفَ بِلِحْزَةِ مَنْ يَبِيعُ أَرْضَهُ لِلْيَهُودِ وَمَنْكُمْ
مَنْ يَشْتَرِي أَرْضَ غَيْرِهِ لَهُمْ، وَلَا تَدْرُونَ مَا تَجْنُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، ..
وَوَطَنَكُمْ، وَعَلَى قَوْمِكُمْ وَأَمْتِكُمْ، كُلُّ مَا كَتَبَهُ الْمَقْدُرُونَ لِلْخَطَرِ، ..
الْيَهُودِ فِيمَا يَسْمُونَهُ الْمَسْأَلَةَ الصَّهْيُونِيَّةَ قَلِيلٌ، وَكُلُّ مَا كَتَبَهُ الصَّغُورُونَ
خُطْبَهَا ضَعِيفٌ، فَالْخَطَرُ أَكْبَرُ، وَالْخُطْبُ أَعْظَمُ، وَسُوطُ انْتِقَامٍ،
اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْبَشَرِ مُصْصَبٌ عَلَى أَهْلِ فَالَسْطِينَ أَوَّلًا، وَعَلَى
الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ثَانِيًا، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مِنَ
الْعَرَبِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُ الْبَلَاءُ ...
الْأَكْبَرُ عَلَى الْيَهُودِ أَخِيرًا، وَالسَّحَابَاتُ الرَّجْعُ وَالْأَرْضُ ذَاتُ
الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ،

(٢٦)

ذلك بأن الأقدار الإلهية تقذف الظالمين جلعوداً بجلعود، ولا
 جلعود في الشعوب أشد وأقوى من اليهود، فهم سوط الله ينتقم
 بهم، ثم ينتقم منهم، كذلك كان الأمر من أول تاريخهم وهكذا
 يكون، إلى أن يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ألم تروا
 كيف أخرج الله أصولهم من البدو إلى مصر، فكانوا فيها صالحين
 مصليين، وفي نعمة حضارتها فارحين، وظلوا بعصية نسبهم
 معتمدين، في ظل ملوك العرب الرعاة آمين، ثم استذلهم
 فراعنة المصريين، خوفاً من عصيتهم واضعافاً لها، حتى
 أخرجهم موسى ^{عليه السلام} من ذل العبودية، بما أيد به من الآيات
 السماوية، فأباد الأذلة المستضعفين منهم في حياة التيه
 البدوية، وأخرج شطأهم الموحدين في شحس الخشونة والحربة،
 فسلطهم على شعوب فلسطين الوثنيين الجرمين، وجعلهم بقوة
 التوحيد والفضيلة هم الأئمة الوارثين، ثم كيف أفسدوا فيها
 فانتقم منهم بالبابليين، ثم تابوا وأصلحوا فعادت الكرة لهم، ثم
 أفسدوا فكانت الكرة عليهم، ثم سلط عليهم المسيحيين
 فانتقموا منهم، وسلبهم الله ملكهم ووطنهم، ومزقهم في الأرض
 كل ممزق، ثم تدبروا وتفكروا أيها الناس من عجائب القرآن الكريم كيف
 سميت إحدى سورته المكية بسورة بني إسرائيل وبسورة الاسرى

لأنها

(٢)

لأنها افتتحت بتسبيح الله تعالى الذي أسرى بعده ورسوله صلى الله عليه وسلم
 من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وتلا هذا فيها ذكر افساد بني
 إسرائيل في الأرض التي كانوا فيها مرة بعد أخرى، وكيف كان ينتقم
 منهم في كل مرة، حتى أنه سلط الوثنيين عليهم وعلى هيكلهم في كل
 منها فقال في الثانية (وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا
 مَا عَلَوْا تَتَبَرَّكُوا) ثم سلط عليهم النصارى بعد الوثنيين ففعلوا بهم الأفاعيل
 إلى أن ظهر الاسلام وفتح أهله البلاد، فأنقذوهم من الظلم والاضطهاد،
 ثم سلطهم على أمم أوربة منهم فأحدثوا فيها كل انقلاب، ولا مناسبة
 بين الأسراء بمحمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الأول إلى الثاني الإشارة بل البشارة
 بأعادة مكان الهيكل مسجداً عظيماً مجّلاً يعبد الله تعالى فيه على ملة
 إبراهيم عليه السلام، جد محمد وجد أنبياء بني إسرائيل، ومعيد دين التوحيد
 بعد أن شوهه الجميع بالشرك، فاليهود انتزعوا هذا الوطن من الوثنيين
 ليبدلوا الشرك والظلم بالتوحيد والعدل، ولهذا نصرهم الله عليهم،
 ثم انتزعه النصارى من الوثنيين إذ كانوا خيراً منهم، ثم انتزعه العرب
 المساعون من النصارى لما ظلموا اليهود وكان المساعون أعدل منهم،
 وكان يعاقبهم ويخذلهم في أثناء قتالهم إذا عصوا وظلموا كما ترون،
 في تارة نصرهم مع أنبيائهم من أوله إلى آخره، انظروا في الفصل السادس من
 سفر نبيهم يوشع عليه السلام كيف فتح الله تعالى لهم (ازبحا) وأعطاهم غنائمها
 وكيف أوصاهم باجتنب الحرم بقوله «١٨: ٦» وأما أنتم فاحترزوا من الحرم لئلا

(٢)

قهرموا وتأخذوا من الحرام وتجعلوا محلة اسرائيل محرمة وتكدروها ، وانظروا ما حياه
 عنهم في أول الفصل السابع من اقترافهم الخيانة وأخذهم الحرام فنصر الاموريين عليهم
 وخذلهم في محاولة فتح (عاب) بعد ارتدادهم فذاب قلب الشعب وصار مثل الماء ٦
 فنزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه الى الأرض امام تابوت الرب الى المساء ٧
 هو وشيوخ اسرائيل ووضعوا تراباً على رؤوسهم ٨ وقال يشوع: آه يا سيد الرب
 لماذا عبرت هذا الشعب الأردن تعبيراً لكي تدفعنا الى يد الاموريين ليبيدونا
 ليتنا ارضينا وسكننا في عبر الأردن «الح» ما قال في استغاثته ربه واسترحامه
 باستتابتهم ٩ فقال الرب ليشوع قم لماذا أنت ساقط على وجهك ١١ قد
 اخطأ اسرائيل بل تعد واعهدى الذي أمرتهم به ، بل أخذوا من الحرام
 بل سرقوا (الى أن قال) ولا أعود أكون معكم إن لم تبعدوا الحرام من
 وسطكم ، «الح هكذا كان» وقد عدنا اليوم الكلمة المثل العصى «التاريخ
 يعيد نفسه» ولكن بشكل جديد ، وهو الفتح المادي ، اليهود الماديون
 استحلوا الانكليز الماديين في فتح فلسطين ، وقد وقفوا هم الآن
 الى عبر الأردن ، وكلهم ظالمون ، يأكلون الحرام ، فالدن لن يكون معهم
 فان كان خصومهم من العرب أصحاب هذه البلاد وماوراءها ماديين مثلهم
 فلا يقدروا على كف عدوانهم ، الا بالتفوق عليهم في الأسباب المادية ، وان
 كانوا مع الله تعالى فان الله يكون معهم ، بجمع كلمتهم ، وبوحد قوتهم ،
 فتكون قوتهم المعنوية العظيمة ، موجهة لقوة كثرتهم المادية العظيمة ، و
 يتمكنون بهاتين القوتين ، أن يفرقوا بين اليهود والانكليز ، ويعينهم المتدينون

من

(٥)

هؤلاء على الماديين، فإن كانت قوتهم المادية دون قوة اليهود، فإن
قوة الكترة ورقبة الأرض، أعظم من قوة النقد، وهما في أيدي العرب،
والانكليز أخرج إليهما وإلى أهلها إذا عرفوا كيف ينتفعون بهما في الحياة
جهاد وتنازع في أسباب السيادة والبقاء، والقوة نوعان مادية ومعنوية،
وأن الله تعالى في القوى المادية سنناً ثابتة يجب مراعاتها في العمل، وإن له
في القوى المعنوية سنناً ثابتة يجب التوفيق بينها وبين المادية فيه، فمن -
اتقن العلم والعمل بكل منهما ما كان أحدر بالفوز والفلاح من تقيد بأحدهما،
ومن جهل كلا منهما أو أهمل مراعاتهما بآء بالخيبة والخسار حتماً، ومن -
اقتصر على أحدهما أو قصر فيه كان الترجيح بينه وبين خصمه منوطاً،
بخط كل منهما من السير على هذه السنن، قال عز وجل (٣٧: ٣) قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا الْآيَةَ ثُمَّ قَالُوا ۖ وَلَا تَكُونُوا
وَلَا تَحْزَنُوا ۖ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ ثُمَّ قَالَ فِي الَّتِي بَعْدَهَا (٤٠: ١)
وَتِلْكَ الْآيَاتُ لِلنَّاسِ أَنْذَارٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ وَالْآيَةُ الْأُولَىٰ بَيَانٌ لِلنَّاسِ الْعَامَّةِ -
المطلقة في الأمم، والآية الأخرى في السنن المعنوية العليا في فوز المؤمنين.
وإنهم لهم الذين قال فيهم ٤٩: ١٥ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
ثُمَّ لَمْ يَرْثُوا وَلَا يَسْتَوْفُوا ۖ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ تِلْكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ۖ وَالْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا في سنة التعارض بين الأمم التابع
لتلك السنن كلها، وما بين الله لنا سننه في الأمم الالفتبها فلا
نغتر بدينا مع الجهل به وترك العمل به، ولا نياس من انجاز وعد الله لنا،

(٦)

مهما تكن قوة خصومنا ، وقد علمنا من تاريخ سلفنا ما كان من نصر الله لهم ،
 على فقرهم وقلتهم ، اذ كانوا ينصرونه مهتدين بكتابه ، ومن خذلان من خلف
 من بعدهما أعرضوا عن كتابه ، وتنبكوا سننه في عبادة ، فقلنا أنفان القوة المادية
 الحقيقية في هذا العالم هي ربة الأرض التي هي مصدر الثروة ، والأيدى العاملة
 التي تفجر ينابيع الثروة منها ، وانما أرض فلسطين والأردن والشام والعراق
 وجزيرة العرب كلها للعرب ، والأيدى العاملة فيها أيدي العرب ، ولكن اليهود
 يفوقون العرب في القوة العنوية وهي العلم والوحدة والنجدة والتعاون و
 التساير ، ألا وقوة الدين الأوقوة الدين ، ألا وقوة الدين أيضا إن جل قوة -
 الدين في الأخلاق والاحوة والتكافل والتعاون والتساير والجهاد بالاموال
 والأنفس ، وقد نقضت التربية الفاسدة في الأمصار العربية غزوها وتكنت
 قتلها وما بقي منها في البدو وما يقرب منه في القرى فليس له نظام يجمع أهواء
 أهله المتفرقة فيوحدوها ، والمتفرقون لا قوة لهم ولا نجدة فكثرتهم قلة ، وأما
 اليهود فهم على فقرهم في أقطار الأرض كلها كتلة واحدة وإلب واحد في قوميتهم -
 وتعاونهم الديني والديوي ، فان فرضنا أن الملاحدة والفساق منهم ومن
 الإنكليز أشد فسقا وظلما وكلا للحرام من أمثالهم في العرب ، فاننا لانجهل
 أنهم يظلمون بذلك غيرهم لأنفسهم ، وبأكلون أموال الناس بالحرام والباطل
 لأبناء جلدتهم ، وأن خصومهم من العرب عون لهم على قومهم بالخيانة و
 الفسق ، اذ كل من يبيعهم أرضه أو يشتري لهم أرض أخيه العربي فهو خائن
 لقومه ، وفاسق عن دينه ، عاص لربه . فهل يقترف اليهود أول الإنكليزي هذه
 الخيانة

(٧)

الخيانة لقومه كالعرب لم يلقوا وصف الله اليهود الذين نصر رسولهم
 خاتم النبيين عليهم بقوله «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ»
 فَأَعْبَرُوا بِأُولَى الْأَبْصَارِ فَمَهْلُ نَعْتِهِمْ هَذَا وَنَرَى أَيْ الْفَرِيقَيْنِ مَنَا
 وَمِنْهُمْ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي أَعْدَائِهِمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ دَنَمُ -
 وَصِفُهُمْ بِقَوْلِهِ «بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ تَشْدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى»
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ مَنَا وَمِنْهُمْ يَصِحُّ
 فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ الْيَوْمُ (فَإِذَا كُنَّا تُرِيدُ أَنْ نَحْفَظَ وَطَنَنَا وَأُمَّتَنَا
 مِنْ اسْتِيلَاءِ الْيَهُودِ عَلَيْنَا بِقُوَّةِ الدِّينِ الْعُنُوتِيَّةِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ تَتَّبَعَ
 فِيهِ سِيرَةَ سَلَفِنَا الَّذِينَ انْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ وَأَخْرَجُوهُمْ -
 مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ) وَإِذَا أُرْدْنَا أَنْ نَغْلِبَهُمْ بِقُوَّتِنَا الْمَادِّيَّةِ وَهِيَ -
 كَثَرَتْنَا وَمَلَكَتْ الرِّقَبَةُ الْأَرْضَ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَ كَلِمَةَ الْأُمَّةِ
 الْعَرَبِيَّةِ وَنُوَحِّدَ قَوَاهَا لِتَكُونَ يَدًا وَاحِدَةً وَالْبَأْوَاحِدَا فِي الذُّودِ
 عَنْ حَقِّنَا وَحَفَظْنَا أَرْضَهَا لَهَا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَرْضَنَا الْآبِيْعَ الْخَائِنِينَ
 مَنَا وَسَمَرَتِهِمْ، وَأَنْ مَا يَأْخُذُهُ خُونَتَنَا مِنْهُمْ مِنْ مَالٍ قَلِيلٍ سَيَعُودُ
 إِلَيْهِمْ بِفَسْقِ هَؤُلَاءِ الْخَوْنَةِ وَجَهْلِهِمْ، وَسَيَنْتَهِي هَذَا التَّنَارُخُ إِلَى الْقِتَالِ
 وَهُمْ يَسْتَعِدُّونَ لَهُ وَنَحْنُ لَا نَسْتَعِدُّ، وَقَدْ تَنَبَّأَ نَبِيُّنَا ﷺ بِهَذَا وَعَدَنَا
 بِالظُّهُورِ وَالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ «نَقَاتِلُكُمْ فَتُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ
 الشَّجَرُ وَالْحَجَرُ هَذَا وَرَأَيْتُ يَهُودِيَّ تَعَالَى يَأْمُرُ بِمَسْلَمٍ فَأَقْتَلَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
 وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِمَا مِنْ عِدَّةِ طَرَفٍ، وَلَكِنْ هَذَا الْوَعْدُ لَا يَظْهَرُ إِلَّا فِي مَنَ

(٨)

يكون وطنهم بأهله وشجره وحجره متفقاً على هذا الدفاع ، فما ذكر
 الرسول الشجر والحجر فيه إلا من باب التمثيل فمتى تكون كذلك
 لم أنى كررت هذا الحديث في المنار لأقيم به الحجة على أن بشارة نبينا
 لنا صرح في أمر المستقبل من بشارة أنبيائهم المبهمة في مسيحيهم وعودة
 ملك إسرائيل به إلى فلسطين ، وأرى بعض الناس يتأول به نصراً على
 عدوان الصهيونيين ، بدون ما شرطه الله لنصر المؤمنين ، وقد نوه به
 خطيب جمعية الشبان المسلمين بمصر في حفلة ذكرى تاريخ عهد -
 بلفور المشؤوم في هذا العام وتعبث به ببيان الحق وتفصيله في المحاضرة
 التالية لمحاضرة صاحب هذه المقالة في جمعية الشبان المسلمين
 لم أيها الإخوان كنت عازماً على أن أسمع في اجتماع هذا العام ولا أتكلم ، حتى
 إذا ما فرغ الخطيب الأول صديق الأستاذ المورخ الشيخ عبد الوهاب النجار من
 خطبته ، بدلي أن أتعبه أو ألقى عليه مقطوعاً بكلمة تكون مقابلة
 لكلامه من ناحية غير الناحية التي سلكها وهي لا مندوحة عنها فأقول
 لم مضت سنة الأمم أن يسلك مرشدها في الكوارث التي تنزل بها
 طريقين (إحدهما) تهوين الخطب ، وتصغير الكارثة ، وتقوية الرجاء بزوالها
 وانكشافها عن قريب ، إشفافاً عليها من اليأس ، وقد سلك هذه الطريقة
 الأستاذ فصور كارثة اليهودية الصهيونية بسحابة صيف تندرفلسطين
 بطوفان عظيم ثم لا تلبث أن تنقشع وتزول ، ولكنه توقع أن يكون
 خذلان اليهود فيها والقضاء على ملك إسرائيل الذين يحاولون تأسيسه

في مهد

(٩)

في عهد ملك داود وسليمان بظهور المسيح الدجال الذي حذر منه الأنبياء عليهم السلام وآخرهم خاتمهم محمد رسول الله ﷺ الذي أمر أمته أن تستعين بالله من فتنه في الدعاء المأثور بعد التشهد الأخير من الصلاة في فاته كان المصاب بعدوان اليهود على فلسطين لا ينكشف إلا بظهور المسيح الدجال فيالهرول وباللرزية ، انه لبلاء لا ينكشف إلا في آخر عمر الدنيا ، ولا تلبث بعده أن تقوم الساعة ، وقد أشار الاستاذ الخطيب الى ماورد في الأحاديث النبوية الصحيحة من القتال بين اليهود والمسلمين ، والبشارة بأن المسلمين يظهرن عليهم فيه ، وذهب علماؤنا الى أن هذا سوف يقع في عهد المسيح الدجال ، وأما الطريقة التي أريد سلوكها في بيان ما يجب على الأمة العربية ، والشعوب الإسلامية ، من العبرة بالنكبة اليهودية الصهيونية ، فهي طريقة الأسباب الدنيوية ، والسنن الاجتماعية ، التي يسير عليها أهل البصيرة والعلم قبل وقوع ما أنبأ به الأنبياء عليهم السلام من مقدمات خراب العالم وقيام الساعة ، ومنها ظهور المسيح الدجال الذي رجحت في تفسير المنار أن اليهود سيهيئون أسبابه ومعجزاته بالعلوم الكونية ، وأننى - مع هذا - أعتقد أن العدوان الصهيونى الحال بمساعدة الانكليز على فلسطين لا ينتهى الا بقتال بينهم وبين العرب ، لا أقول هذا تحريضا لكم أيها الحاضرون عليه ، فأننى لا أظن أن أحدا منكم أهلا ولا مستعدا له ، وإنما هذه عاقبة طبيعية لما هو واقع هناك ، فقد ثبت في الأخبار المتواترة أن اليهود في فلسطين يقتنون السلاح ويستزيدون منه بالتهريب من أوروبا

(١٠)

وقد عثرت الحكومة على باخرة تحمل شيئاً ليس بالقليل منه لليهود من أيام قليلة
 وأن أمة غنية تريد اخراج قوم من ديارهم لجعله ملكاً لها لا بد لها من الاستعداد
 للقتال ، فاليهود يجلبون السلاح العصري من أوربة والدولة الانكليزية قد نزع
 سلاح عرب فلسطين من أيديهم ، وهي تريد نزع سلاح إخوانهم في شرقي الأردن
 عند سنوح الفرصة بمساعدة خونة العرب وسواعدهم ، ومتى تم هذا يسمح -
 لليهود بنزع شرقي الاردن كما ينزعون أرض فلسطين ، هذا رأي قد تم في عاقبة -
 الحكومة الموقتة في شرقي الاردن طالما صرحت به لمن لقيت من أهل البلاد ، وقل
 من كان يعقله ، ولكنهم سيرونه بأعينهم ، هذه مقدمة سنحت قبل الكلمة -
 المقصودة من وقفى هذه ، وهما أنتم اسمعوها بالاختصار ، أن خطر ما يسمونه
 (المسألة اليهودية الصهيونية) كبيرها ثل جداً ، هو أكبر من كل ما قيل وما كتب في
 تكبيره وتهويله ، ولو ظل اليهود على اعتقادهم القديم وانتظار المسيح الذي
 بشروا به وفسروه بملك دنيوي يعيد لهم ما فقدوا من ملك سليمان عليه السلام
 بتأييد الله تعالى له بالآيات والمعجزات ، لما كان خطب الصهيونية هو الخطر الذي
 أعنيه ، بل لما وجدت هذه الصهيونية التي تحشأها وتندرا الأمة خطرهما -
 (تلك عقيدة دينية مرت القرون ولم يستعد اليهود لظهورها وأظهارها بقوة -
 اجتماع ولا سلاح ولا مال ، ولا عمل من الاعمال ، بل كانت مانعة لهم من -
 الاستعداد لإعادة ملكهم من طريق الأسباب ، لا اعتقادهم أنه سيكون
 بآيات إلهية هي فوق الأسباب ، فمثلهم كمثل جماهير المسلمين - ولا سيما -
 الشيعة - في عقيدة المهدي المنتظر البشر بظهوره بعد أن تملأ الأرض ظلماً
 وجوراً

(١١)

وجوراً ، فملأوها عدلاً كانت هذه العقيدة من أسباب خنوع المسلمين ، وسكوتهم ،
على ما أصابهم من جور الظالمين المخربين منهم ، ثم من سلب الأفرنج لأكثر ملكهم ؛
كما ظهر فيهم عاقل يدعوهم إلى الدفاع عن أنفسهم بصدونه بقولهم : « أن الأرض
ملئت جوراً وظلماً ، وقد قرب زمن ظهور المهدي ولن ينقذها غيره » ، ولم يخطر في
بال أحد من زعمائهم أن يدعوهم للاستعداد لظهوره ليكونوا معه كما قال المهاجرون
والانصار مع النبي ﷺ لاعتقادهم أن ظهوره وعمله سيكون بالكرامات وخوارق
العادات ، ولذلك خدع ألوف منهم بظهور الدجالين المدعين لهذه الهدوية ولما
هو فوقها ومتمم لها من ظهور المسيح ، كما فعل الباب والبهاء وغللام أحمد القادياني ،
فكانت عقيدة المهدي المنتظر منارفتن وحروب مبيرة ، سفكت فيها دماء غزيرة -
يُرى بعض اليهود الذين درسوا العلوم الكونية والاجتماعية والتاريخ في أوروبا -
أن قومهم يعلنون أنفسهم بأمنية ظهور مسيح مجدد لهم ملكهم ، وأن القرون -
تتلا القرون على هذا الاعتقاد وهم لا يزرادون إلا تفرقاً وذللاً بفقد الملك ،
ورأوا من عبر التاريخ أن أفراد من أصحاب الهمة والعزيمة قد أسسوا ممالك
قوية ، فتوجهت عزائمهم التأسيس ملك لقومهم بالأسباب الاجتماعية ، ودون -
الاعتماد على الأوهام الاعتقادية المنافية لسنن الاجتماع ، فأسسوا هذه الدعوة
الصهيونية على قواعد العلم والمال ، وتوحيد قوة الأمة وجمع كلمتها ، وضعوا العلم
راس مال كبير فكان بنك الصهيونية ، ووضعوا دائرة معارف يهودية صهيونية ، -
ووضعوا نظاماً اجتماعياً لجمع كلمة الأمة يعقدون له المؤتمرات تلوا المؤتمرات ، في
امصار أوروبا وأمريكا ، ولقد كان اليهود - المتكلمون على ظهور (مسيا) مؤيداً بالإنجاب

(٢)

والخوارق السماوية - ينفرون من هذا النظام ويعدونّه كفراً والحاراً، أو هرطقة وزندقة، ولكن الحقائق العلمية، والساعي العملية، ما زالت تدحض الآراء الوهمية حتى صار يهود العالم كلهم أنصاراً للجمعية الصهيونية حتى أن فقراء يهود اليمن والمغرب المجاهدين يهاجرون إلى فلسطين لشهدوا تأسيس ملك إسرائيل في ما ينبغي لنا ولا لعاقل أن يستصغر عمل هؤلاء القوم أو يستكبر بموضعهم به مهما يكن كبيراً في نفسه، فاليهود شعب قوى العزيمة، شديد الشكمة، عظيم الكيد والحيلة، قد أحدثوا أعظم انقلاب في الدول والأهم، وكان آخر ما أحدثوا انقلاب دولة الخلافة التركية الحميدية، ودولة القيصريّة الروسية، ثم كانوا هم السبب في انكسار الدولة الألمانية القاهرة، في حرب المدينة العامة، وإن دولة بريطانية العظمى لترى نفسها مسحرة لهم في مساعدتهم على تأسيس ماسمته (الوطن القومي في فلسطين)، بمقتضى وعددها لهم بما يسمى (عهد بلفور) وهو الذي اجتمعنا للاحتجاج عليه اليوم كما نفعل في كل عام، وقد سبقونا هم للاحتفال بهذه الذكرى في مصر وفي كل قطر، وشتان ما بين اجتماعنا واجتماعهم، نحن نجتمع للنذب والاحتجاج بالكلام، وهم يجتمعون للتها في التعاون بالأموال والأعمال، فالذي أبغيه بكلمتي هو أن نعتبر بأعمالهم ونقتدي بهم فيها، بل نقتدي بما أمرنا به كتاب ربنا من المحافظة على ملتنا وأمتنا بالجهاد في سبيله بأموالنا وأنفسنا، وإن عدد اليهود في العالم كله بضعة عشر مليوناً على أكثر تقدير - ١٥ أو ١٧ مليوناً - وإن عدد المسلمين ليبلغ أربع مائة مليون، وإن عدد العرب الذين يريدون نزع فلسطين من أيديهم لا يقل عن مائة مليون، وأن اليهود - خصوم المسلمين والنصارى منهم على سواء، وأنهم خصوم لهم في وطنهم المشترك ومعاهدتهم

(٣)

ومعاهدكم المقدسة فيه، بل خصوم لهم في دينهم أى في دين الاسلام
 ودين النصرانية كيف هذا يا قوم؟ بل أن عقيدة اليهود في إعادة ملك
 اسرائيل بالمسيح المنتظر تكذيب لدين الاسلام وتكذيب أصرح للمسيح
 عيسى بن مريم عليه السلام فانه هو المسيح الذى بشرهم به انبياءهم فكذبوه،
 وهو الذى أنذرهم بمخرب هيكلم الساماني حتى لا يبقى فيه حجر على حجر،
 وهم يريدون اعادته اتماما لتكذيبه، ومن عجائب همتهم وكيدهم أنهم
 يسخرون الدول المسيحية كلها لمساعدتهم الأدبية، وسخروا
 بريطانيا المسيحية لتأسيس هذا الملك لهم بقوتها السياسية والعسكرية،
 ومخالفة تقاليد النصرانية والأدبية، فانظروا يا قوم الى مبلغ كيدهم
 وقوتهم، وماذا عسى أن يفعل العرب فى إيقاف الدولة البريطانية
 عندها الحد الذى بلغته من تسخيرهم لها وليس عندهم إلا الكلام؟
 بل ان فى بلاد الانكليز خصوما لليهود كخصومهم فى سائر بلاد أوربة، و
 لكنهم أعظم نفوذا فى هذه الدولة من خصومهم من أهلها، فماذا
 عسى أن يبلغ تأثيرنا فيها؟ أن نفوذهم قائم على أساس المال والصحف
 السياسية لانهم يملكون القسم العظيم من سهام شركاتها، وان
 للعرب لقوة أعظم من قوتهم بكثير عددهم وسعة بلادهم ونفوذهم
 المعنوي الديني فى الهند وغيرها من الأمبراطورية البريطانية، و
 لكنهم يجهلون وسائل الانتفاع بهذا النفوذ فى جمع المال وفى
 تهديد الدولة الانكليزية وإلجائها الى ترجيح مصالحهم على مصلحة

(١٤)

اليهود الصهيونيين ، ولم وقد قلت لكم في هذا المكان من قبل أن الإنتفاع
بهذه القوة العربية ، من اسلامية ومسيحية ، وبالقوة الاسلامية
التي تؤيدها ، يتوقف على نظام لا يجوز شرحه في هذه المحافل ، وانى
أعيد هذه النصيحة وأكرر التذكير بها عملاً بقوله تعالى (فَذَكِّرْ أُنْ
نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَكِّرُ مَنْ مِنْ تُخَشَى) صدق الله العظيم قائلاً صاحب مجلة
المنار محمد رشيد رضا ، وهذه فتوى في قتل هذا الأندلسي

إن من بيع شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للانكليز فهو كمن يبيعهم
المسجد الأقصى ، وكمن يبيع الوطن كله لأن ما يشترونه وسيلة إلى ذلك وإلى
جعل الحجاز على خطر ، فرقبة الأرض فهذه البلاد هي كرقبة الانسك من جسده ،
وهي بهذا تعد شرعاً من النافع الاسلامية العامة ، لا من الاملاك الشخصية الخاصة ،
وتخليك الخزي لئلا الاسلام باطل ، وخيانة لله ولرسوله ولأمانته الاسلام . ولا أذكر هنا
كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة ، وإنما اقترح على كل من يؤمن بالله وكتبه و
برسوله خاتم النبيين أن يثبت هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة المقاطعة
هؤلاء الخونة الذين يصرون على حياتهم في كل شيء المعاشرة والمعاملة والزواج
والكلام حتى رد السلام ، ورد في صحيح مسلم أن الله تعالى وعده رسوله ﷺ
لأمتي أن لا يسلم عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبجح بيضتهم ولو اجتمع عليهم
من باقطارها ، الخ ، وقد بينت في شرحي من جزء التفسير السابع (ص ٤٩٥ ٤٩٦)
طبعة ثانية أنه ما زال ملك الاسلام عن قطر الا بخيانة من المسلمين ، فتوبوا إلى الله
أيها الخائون دياراً الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتكونوا أماناً لكم وأنتم
تعلمون

تَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (صدق
 الله العظيم) ثم هذه الرسالة بقلم الفقير إلى الله تعالى أضعف الكتاب عهد للرب
 الجليل محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد بن غفر الله له ولوالديه

ولمن علمه وقرأه ولمن دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين

والمؤمنات وللسائلين المسلمين والمستقلين

الأحياء منهم والاموات والناجين

قريب مجيب الدعوات

يا رب العالمين

آمين

قال بعض الصالحين في كرم الله تعالى

إذا سألت فاسأل الله قادراً * كل الخلائق والملوك ببابه

من جاء يطلب من خزان فضله * شيئاً بصدق لم يُرْجأ إلا به

أوسئت نيل العز زلّ ليعزّه * واخضع وضع خديك فوق ثوابه

متضرعاً متخشعاً متواضعاً * مُشْفِعاً بِنَيْتِهِ وبكِتَابِهِ

يعطيك ما ترجوه منه تفضلاً * وتكون في الدارين من أصحابه

وإذا أردت مدى الزمان حوائجاً * فالجأ إليه وقف على أعتابه

تلقى العجائب من محاسن صنعه * فافهم هذا ك الله طرق صوابه

فاقبل يا أخى وصيتي تسعد بها * فتكون فائزاً منه بأجره وثوابه

مولاي صلى على النبي وآله * وارحم وبارك وارضى عن أصحابه

مصادر ومراجع التحقيق

1. ابن الأثير، (المتوفى: 606هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
2. أحمد بن حنبل، (المتوفى: 241هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1421 هـ - 2001 م.
3. ابن ماجه، (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: مُجَدُّ فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. د.ت.
4. ابن منظور، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، ط3 - 1414 هـ.
5. الألباني، (المتوفى: 1420هـ)، خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الطبعة الأولى 1421هـ-2000م.
6. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، الناشر: دار طوق النجاة، ط.1، 1422هـ.
7. الترمذي، مُجَدُّ بن عيسى بن سَؤْرة (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ت.ن: 1998 م.
8. أبو داود السجستاني، (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، المحقق: مُجَدُّ محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
9. الطبراني، (المتوفى: 360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن مُجَدُّ وآخرون، الناشر: دار الحرمين - القاهرة. د. ت.
10. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، حققه إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات وآخرون، دار الدعوة، د.ت.
11. الإمام مسلم، (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: مُجَدُّ فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
12. الإمام النووي، (المتوفى: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.
13. المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت. 1997.
14. الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
15. مصادر أخرى، وبعض الصفحات المعتمدة على الشبكة.

